الباب الخامس والعشرون

عرابى وصحبه فى سيلان

فى ذكر ما قوبلنا به من التجله والاكرام

من رجال حكومة جزيرة سيلان واعيان الشعب السيلانى الكريم

بعد ثلاثة أيام من دخولنا الجزيرة المباركة دعينا الى وليمة حافلة اقامها المحترم (محمد حنيفة) العضو فى مجلس الشورى عن المسلمين . حضرها جميع الاعيان ورؤساء الطوائف . ثم الى وليمة أقامها (الحاج شنى لبى) من وجوه الاعيان . ثم الى وليمة أقامها المحترم (محمد لبى) ثم الى وليمة أقامها (الحاج عبد القادر) ثم الى وليمة أقامها (شنى لبى وأولاده عبدالرحيم ومحمود افندى) من الاعيان . ثم الى وليمة أقامها الاستاذ (الشيخ على جاد) . ثم الى وليمة أقامها (الشريف السيد عباس) . ثم الى وليمة أقامها (أكبر افندى) العضو فى مجلس الشورى عن طائفة الملاى والجاوه . ثم الى وليمة أقامها الوزير الكبير (ابراهيم الديدى) رئيس وزراء حكومة جزائر مالديف فى ثغر (جول) سيلان وأخرى أقامها ماكن كبير تجار الجواهر . ثم الى أخرى حافلة أقامها المحسن الكبير (سوزا) كبير شعب الشنكليز . ثم الى وليمة عظيمة أقامها الأمير (راما سامى) كبير طائفة التمل . ثم الى وليمة مثلها أقامها (راما شلم) العضو فى مجلس الشورى عن طائفة التمل(1) .

وبعد ذلك أقمنا وليمة جامعة لأعيان المسلمين والانكليز والتمل والشنكليز وكان عدد المدعويين اليها مائتى شخص على اختلاف الاجناس والمذاهب والمعتقدات شكرا لهم على حسن احتفائهم بنا .

وفى شهر فبراير سنة ١٨٨٣ حضر الى الجزيرة الحاكم الجديد السير ارثر غوردون فكتبنا له عريضة بأن حكومتنا المصرية أرجأت تعيين المرتبات اللازمة لمعيشتنا الى ما يرد اليها من حاكم سيلان بالنسبة للاسعار الجارية فيها ، وبما أنه يلزم لكل منا خمسون جنيها شهريا ، فنؤمل مخابرة حكومة الانكليز بذلك وبناء على ماذكر ترتب لى خمسون جنيها انجليزيا شهريا ، ولكل من الباشوات ثمانية وثلاثون جنيها انجليزيا .

---

(١) تعاطف المسلمون فى سيلان مع عرابى ورفاقه وتنافسوا فى ضيافتهم .

مستر بلنت فى سيلان[١]

وفى ٢٠ أكتوبر سنه ١٨٨٣ حضر صديقنا المستر بلنت من انجلترا لزيارتنا وتهنئتنا على نجاتنا من أيدى خصومنا . وبوصول السفينة المقلة له الى ميناء (ثغر كولومبو) هرع جميع سكان الثغر المذكور لاستقباله حيث كانوا على استعداد تام لذلك قبل وصوله[٢] وقد أخذنا نحن واخواننا وأولادنا زورقا بخاريا وحظينا بمقابلته ومقابلة السيدة الفاضلة (اللادى آنا بلنت) وكان بمعيتهما القس لويس الصابونجى ، ثم نزلنا بعد ذلك الى الرفاص وعدنا الى البر والزوارق الاهلية محيطة بنا يهتف من فيها بعبارات الترحيب ويشيرون بأيديهم علامة للسلام والاعظام .

ولما وصلنا الى البر تكاثرت علينا جموع المحتفلين بقدوم المستر ولفرد سكاون بلنت حتى تعسر علينا الوصول الى المركبات ولو لم تتدخل الشرطة فى منع ذلك البحر الزاخر من التكدس حولنا لاضطررنا الى الوقوف فى الميناء الساعات الطوال

ثم ركبنا العربات وتوجهنا الى سراى (مورجن) المعدة لاقامة ذلك الضيف الكريم مدة ضيافته وهى على بعد ثلاثة أميال من الميناء بجهة (متوال) مشرفة على البحر . وكان الناس مصطفين على جانبى الطريق الموصل الى السراى وهم يحيون المستر بلنت ونحن معه فى المركبة بوجوه باشة وأسارير مبتهجة حتى وصلنا مقر الضيافة

وكانت السراى مزدانة بالأنوار الكهربائية وأقواس النصر مكسوة بالازهار والرياحين وبأغصان (الكووتن) وبجريد نخل جوز الهند وعراجينه وبالقرنفل والموزوالدوم والبرتقال والاناناس وبجميع أصناف الازهار السيلانية وأثمارها الغير المقطوعة ولا الممنوعة ، فصارت السراى نزهة الناظرين وضمت بين جدرانها خلاصة أهل سيلان على اختلاف مذاهبهم وكان مكتوبا على أقواس النصر بالانجليزية (مرحبا أهلا وسهلا بالصديق الوفى المستر ولفرد سكاون بلنت) .

(١) وافقت الخارجية البريطانية على طلب بلنت بالسفر الى كولمبو لمقابلة عرابى ورفاقه .

(٢) اقامت الجماعة الاسلامية فى سيلان اقواس النصر مكان رسو الباخرة التى كانت تقل بلنت . انظر لطيفة سالم : عرابى ورفاقه فى جنة أدم ص٤٤

وما وافت الساعة الثالثة ليلا حتى برزت الالعاب النارية على أشكالها المختلفة الجميلة فابتهجت النفوس وأثلجت الصدور وعم الانشراح ، وشمل الارتياح ، وما زالوا هكذا حتى منتصف الليل .

وقد أعدت له وليمة فى اليوم المذكور حضرها نحو مائتى مدعو من أعيان جميع الطوائف فى سيلان ، وبعد تناول الطعام قام الفيلسوف الكبير (محمد سدى لبى) افندى المحامى وألقى خطبة بالانجليزية يشكر فيها المستر بلنت على غيرته وانتصاره للعدل والحرية ومدافعته على واجب الانسانية بعد كلمات الترحيب المعتادة فى مثل هذا المقام ، فقام المستر بلنت ، وألقى خطابا وجيزا شكر فيه لأهل سيلان احتفاءهم به واكرامهم له .

وكان المستر بلنت متألما من مرض (الروماتزم) فلما أبل من مرضه بعد أسبوعين من حضوره ونقه نقها تاما اشترك المسلمون فى اعداد وليمة كبيرة تكريما له وللسيدة قرينته فى سراى (ليك هاوس) التى نزلنا بها عند وصولنا الى الجزيرة .

وبعد تناول الطعام قام المستر بلنت وألقى خطبة أثنى فيها على كرم مسلمى سيلان وحسن احتفائهم وعنايتهم باخوانهم المصريين شهداء العدل والحرية والمدافعة عن وطنهم فقام المحامى(محمد سدى لبى افندى) المذكور آنفا وألقى خطبة ذكر فيها حسنات المستر بلنت واهتمامه بالانتصار للضعفاء والمظلومين . ثم انفرط عقد الاجتماع وكلهم ألسنة شكر وثناء واعجاب .

ولما رأى سرور الناس بمقدمه وعظيم احتفالهم به حمد اللّه على ذلك بقوله : (الحمد للّه على نعمائه فقد جنينا ثمرة أتعابنا بما شاهدناه من الاحساس الشريف عند عناصر الشعب السيلانى وجميع المسلمين)

وبعد أن أقام فى سيلان مدة ٢٢ يوما سافر الى الهند فى ١٢ نوفمبر سنة ١٨٨٣ فشيعناه الى أن ركب السفينة ومكثنا معه الى ساعة السفر ، ولما آذنت السفينة بالاقلاع ودعناه ونزلنا وكانت الميناء غاصة بالمودعين والزوارق منتشرة فى الميناء رافعة الرايات البيضاء مشيرة بالسلام الى أن أقلعت السفينة وأخذت تمخر فى عرض البحر .

ثم توجه المستر بلنت الى حيدر آباد ليشهد تتويج (النظام) أى أمير حيدر آباد النواب حبيب اللّه لبلوغه سن الرشد . وكان من استقباله هناك واكرامه ما لم يخطر له على بال .

وقد منع من الدخول الى مصر أثناء عودته بأمر المستر (بارنج) الذى صار فيما بعد اللورد كرومر فذهب الى الاستانة حيث قوبل بكل احترام بأمر الحضرة السلطانية ثم قفل راجعا الى انجلترا .

وله قصيدة بليغة بالانجليزية يشكو فيها الى اللّه من ظلم الانجليز واعتدائهم على مصر وبغيهم على الامم الضعيفة ، وينذرهم بسوء المنقلب والانتقام العاجل من اللّه القادر ملك الملوك ورب الارباب ، ويعزى مصر على ما أصابها من الظلم ، ويبشرها بالخلاص من ربقة الظالمين . وان اللّه سينصرها ويرد اليها مجدها وسؤددها ، وأن على الباغى تدور الدوائر . وقد ترجم تلك القصيدة الى العربية القس لويس صابونجى ، فجاءت كأنها من نبوءات النبى حزقيائيل (من أنبياء بنى اسرائيل)

فى الجزيرة

مساحة هذه الجزيرة ٢٠ مليون ايكر (فدان انجليزى) جميعها خصبة ، وهى على شكل كمثرى وعدد أهلها ثلاثة ملايين تقريبا منهم مائتان وخمسون ألف من المسلمين . وأما الباقون فهم من الشنكليز والتمل على مذهب (البوذا) وبعضهم هنود على مذهب (براهما) . وكلهم أهل دعة وسكون يكرمون الغريب ويحسنون ضيافته .

وفى يناير سنة ١٨٨٤ تكرم علينا (الماهراجا) أى سلطان مملكة جاهور من الممالك الهندية بالزيارة فقابلناه بما يجب له من التعظيم والاحترام ، وكان معه مستشار انكليزى حتى لاينبس نبسة الا حفظها الرقيب عليه فى حبة قلبه ، وبعد نصف ساعة عاد الى دار حكومة سيلان . وفخامته من شيعة على عليه السلام ، وله محبة كبيرة لآل بيت النبوة ، حتى لقب «بكلب على»!

وفى السنة المذكورة حضر لزيارتنا اللورد روزبرى واللورد مكدونلد فى محل اقامتنا

بجهة (متوال) وبعد هنيهة أخذ يسألنا عن حملة هكس فى السودان[1] ، وهل هى كافية لدحر قوة محمد أحمد المهدى أم لا . وكانت المكالمة باللغة الفرنسية ، وكان محمود باشا فهمى يترجم لنا كلام اللورد روزبرى ، وهاك المحاورة التى صارت بيننا كما ترى :

س . ما رأيكم فى دعوة مهدى السودان هل هو المهدى المنتظر عند المسلمين؟

ج . وماذا يعنيكم من أمره ؟!

س . أن أمره يهمنا كثيرا فان عندنا فى الهند ٦٠ مليون من المسلمين وكلهم يعتقد أن المهدى المنتظر يجمع شتات المسلمين تحت رايته .

ج . أن هذا الاعتقاد يعتقده كل مسلم ولكن له مقدمات لم تأت بعد

س . اذا ليس هو بمهدى

ج . كل داع الى العدل والاصلاح فهو مهدى ولكن غير المنتظر .

س . أن الحكومة المصرية أرسلت جيشا من عشرين ألفا لقتاله بقيادة رجل انكليزى اسمه (هكس) فهل ترون أن هذا الجيش كاف للتغلب على المهدى

ج . نحن نرى أن وجود قائد انكليزى على جيش مصرى يكون من صالح المهدى فانه يحكم بكفر المصريين الذين يقاتلون المسلمين تحت قيادة مسيحية ويستبيح قتلهم بسبب هذه القيادة . واذا استولى على أسلحة هذا الجيش وذخيرته أصبح قويا يخشى جانبه .

س . أى علاج فى نظركم لاطفاء شعلة ثورته

ج . اننا نرى أنه قائم بدعوة دينية وعلاجها أن يرسل له وفد من أجلاء العلماء يحاجونه بالدليل والبرهان ويقنعونه بأن وقت المهدى لم يحن بعد فيرجع عن دعوته . وان كان طالب ملك فيجعل أميرا على السودان تابعا للحكومة المصرية وعلى الحكومة المذكورة أن ترسل العلماء من القضاة والحكماء والمهندسين والمعلمين ، وتفتح

(١) هزمت هذه الحملة ، ولقى هكس Hicks مصرعه فى معركة امام الأبيض .

المدارس ، وتجرى الاصلاحات اللازمة فى الاقطار السودانية لتمدينها ، وفى مقابلة ذلك يعطى مصر جزية سنوية بنسبة دخلها ومصروفها .

وفى اليوم الثانى توجهنا مع محمود باشا فهمى الى دار الحكومة لرد الزيارة الى اللوردين المشار اليهما[١] فوجدنا اللورد روزبرى توجه الى صيد الافيال فى مسارحها وأما اللورد مكدونالد فلم يتوجه معه وأخبرنا بورود تلغراف الى اللورد روزبرى بأن حملة هكس هلكت عن آخرها واستحوذ المهدى على جميع أسلحة الحملة ومدافعها وذخيرتها وكان الامر كما اخبرتمونا بالامس .

وفى السنة المذكورة زار سمو الدوق (اف كنوت[٢]) ثالث انجال ملكة الانكليز جزيرة سيلان وقد تقدم وصوله اليها حضور صديقنا السير وليم جريجورى كاتم أسرار الملكة فقدمنا الى الدوق عند وصوله الى رصيف الميناء ، فلاطفنا سموه ، ودعانا نحن المصريين الى وليمة فى سراى الحكومة . وقد ازدهرت السراى بالأنوار والأضواء فكان الليل كأنه ضحوة النهار

رجاء ويأس

وجاء صديقنا السير وليم جريجورى المذكور مرة ثانية الى سيلان فى شهر مايو سنة ١٨٨٧ وشاهد احتفال اليوبيل (أى عيد الخمسين سنة لجلوس جلالة الملكة فكتوريا على عرش انجلترا) الذى أقيم فى ٢٠ يونيو سنه ١٨٨٧ . وقد أشار علينا حفظه اللّه بأن نحرر عريضة الى الحكومة الانجليزية نطلب منها العودة الى بلادنا لما رآه من انحلال قوانا بالنسبة لرداءة الطقس ووعدنا بالمساعدة ، ولكننا حررنا عريضة نلتمس فيها نقلنا الى جزيرة قبرص لموافقة هوائها لهواء مصر مراعاة لصحتنا ، لأنه رجح عندنا أن الوقت الذى يجب أن نطلب فيه العودة الى بلادنا لم يحن بعد . وقدمنا العرض الى صديقنا

---

(١) هذا يعنى أن العلاقة بين عرابى ومحمود فهمى كانت جيدة على حين كان الخصام بين عرابى من جهة وطلبه عصمت وعبد العال حلمى من جهة أخرى على أثر زواج عرابى من جاريتين كانتا فى خدمة زوجة ابنه وانه انجب منهما . انظر محمود فهمى : البحر الزاخر جـ ١ ص ٢٣٤ .

(٢) دوق كنوت D. of Connought هو الابن الثالث لملكة فيكتوريا . وعندما وصل إلى الجزيرة كان عرابى على رأس مستقبليه ، وقد دعا الدوق المنفيين لمأدبة أقامها لهم بمقر الحكومة . لطيفة سالم : عرابى ورفاقه فى جنه آدم ، ص٤٣ .

المشار اليه فأرسله الى الحكومة الانجليزية وهذه كتبت عليه للحكومة المصرية التى رفضت اجابة طلبنا وأشارت الى ارسالنا الى بلاد الكاب (فى جنوب افريقيا) أو زيلع (فى الشرق منها) حيث كان رياض باشا رئيس الحكومة المصرية اذ ذاك لسوء الحظ[١] . فعلل ربط ما نأخذه من المعاش الزهيد على ابعادنا عن مصر ، كأنه لا يعلم أن ما يعطى لنا هو فى مقابل ما سلبته الحكومة من أملاكنا ونهبته من أموالنا . فصبرنا على ذلك وفى الحلق شجى وفى العين قذى ، وفضلنا بقاءنا فى سيلان على الانتقال الى الاصقاع التى اختارتها الحكومة المصرية حتى يهيئ لنا الله فرجا ومخرجا .

وفى سن ١٣١٠ توفى الى رحمة الله شهيد الوطنية والغربة عبد العال باشا حلمى ودفن فى قرافة قسم (مردانة) وضريحه مشهور يزار ومن كراماته ماشاهدناه من اجتماع أسراب من الطير فوق نعشه تسير بسير الجنازة ، حتى واريناه التراب وقد أخذ الناس العجب كل مأخذ لهذه الظاهرة الغريبة ! .

مكرمة صديق

وفى سنة ١٨٩١ زارنا صديقنا الفاضل السير توماس لبتن ولما وجد انحطاط صحتنا وضعفها من تأثير الرطوبة والحرارة الملازمتين لمناخ مدينة (كولمبو) تكرم بدعوتنا للتوجه الى مزارعه فى البلاد العالية المرتفعة لطيب هوائها وحسن منظرها ترويحا للنفس واستجلاء للنفوس من أكداس الصدأ الذى اصطلح عليها . وقد تكفل بالمصاريف فشكرناه على ذلك كثيرا . ثم أنه عين لمرافقتنا اثنين من وكلائه وهما المستر (فيزر) والمستر (بيوكتن) وأمرهما باداء كل طلباتنا حتى نصل الى مزارعه فى (دمبتنه) فقمنا من كولمبو ومعنا أخونا على باشا فهمى والوكيلان المذكوران الى مدينة (كندى) العاصمة القديمة ومقر الحكومة بطريق السكة الحديد فوصلناها بعد أن قطع بنا القطار اثنين وسبعين ميلا . ومن ثم ركبنا قطارا آخر الى (نورالبه) وهى آخر محطة للسكة الحديدية هناك ، فبلغناها بعد طى عشرين ميلا . ومن هناك ركبنا المركبات وصعدنا الى سطح جبل هناك واقمنا ليلتين فى فندق يقال له (جراند هوتيل) وهو على ارتفاع نحو

---

(٢) رفض رياض باشا قبول هذه العريضة كما رفض الخديوى عودتهم لأن قبولهم من وجهة نظره سيتسبب فى احداث اضرار بالحكومة . محمود فهمى : البحر الزاخر جـ ١ ص٢٣٧ .

٧٣٠٠ قدم فوق سطح البحر . وهناك بلدة عامرة وبركة عظيمة طولها ميلان وعرضها ربع ميل ، وعليها بوابات محكمة الصنع تقذف مايزداد من الماء المتجمع فيها من السيل الى مجارى الوديان المنخفضة بترتيب هندسى متقن

ولما سمع المسلمون بقدومنا حضروا لزيارتنا والاحتفال بنا زرافات ووحدانا فشكرناهم على حسن احتفائهم بنا ودعونا لهم بالخير .

وفى اليوم الثانى زرنا مسجدهم وسوقهم . ثم توجهنا لنمتع النظر بالمنتزه العظيم فى جنوب منتهى البركة الشرقى وهو منتزه يقال له (الهجالة) تبلغ مساحته ٧٠٠ فدان . ويوجد جبل مرتفع عن سطح البحر بمقدار ٨٣٠٠ قدم وعن أرض الفندق بمقدار ١٠٠٠ قدم ، وهو فى شمال (نورالبا) يرى الناظر من فوقه الفيلة وأنواع الغزلان والمها والجواميس المتوحشة والوحوش فى مسارحها أسرابا أسرابا ، فكان المنظر مما ينفث عن المصدورين بعض ما بهم من متاعب . وكان الهواء النقى هناك سببا لتقدم صحتنا فى ذلك الزمن القليل .

وفى اليوم الثالث غادرنا (نورالبا) الى (الهجالة) وأخذنا غذاءنا فى الاستراحة التابعة للحكومة ، ومن ثم تابعنا السير بالمركبات الى أن وصلنا بلدة يقال لها (ديكولا) فبتنا هناك فى محلات أنشأتها الحكومة لنزول مستخدميها وغيرهم عند مرورهم لتأدية واجبات ، أو للنزهة نظير دفع شىء كثمن الطعام أو أجر المبيت لمدير النزل بعد أن يثبت ذلك فى دفتر خصيص لحصر المصاريف . وهكذا سلمت الأهالى من احتمال المصاريف الباهظة التى يكابدونها عند مرور الحكام وأتباعهم عندهم كما هو جار فى البلاد المصرية . وحبذا لو اتبعت الحكومة المصرية هذه الطريقة فتخلص الاهالى من هذا العبء الثقيل وتحفظ أموالها لما هو أنفع وأعم فائدة . وفى اليوم الرابع قمنا مبكرين وأخذنا نجد فى السير الى أن بلغنا بلدة (ادم ولا) عند الظهيرة فهرع المسلمون هناك لاستقبالنا بكل ترحاب ، وبعد أن استرحنا نحو ساعة استأنفنا السير حتى وصلنا بلدة (بندراولا) فبتنا فى نزلها وتمتعنا بهوائها العليل

وفى اليوم الخامس سددنا خطواتنا الى (دمبتنا) وهناك استقبلنا أهلها من المسلمين وغيرهم بكل بشاشة واكرام وبعد أن تغدينا فى نزلها امتطينا جيادا كانت معدة لنا

وصعدنا الى سراى السير توماس لبتن البعيدة عن المنزل بمسافة أربعة أميال . وتحيط بهذه السراى بساتين نضرة وتكتنفها مزارع متلاصقة خضراء من شجر البن والشاى والكينا . وسياج تلك البساتين من أنواع الورد وشجر الخوخ والبرتقال وغيرها مما يضيق بوصفه المقال

وهناك وجدنا أسباب الراحة وافرة فأقمنا شهرا كاملا فى ضيافة صديقنا السالف الذكر . . وكنا رأينا فى غضون هذه المدة كيفية جمع ثمر البن ـ الذى يشبه ثمر النبق تماما ـ وبشره وغسله ونشره فى الفاوريقة . وكذلك زراعة الشاء وكيفية جمع أوراق أطراف الأغصان وفرمها ونشرها حتى تذبل ثم ادخالها فى فرن طوله ٨ أمتار واخراجها منه . ثم وضعها فى غرابيل تفرزها الى أربعة درجات أو أصناف لكل منها قيمة معلومة ، كل ذلك فى الفاوريقة حيث تقطع أوراق الشاى الخضراء التى تشبه ورق الملوخية الى قطع صغيرة ناشفة وتكون تامة الصنع صالحة لأن توضع فى صناديقها فى مسافة لا تزيد عن ساعة من الزمن

هدية الى مصر

ولايجاد نوع البن اليمنى فى بلادنا المصرية أرسلنا الى صديقنا المرحوم أحمد باشا المنشاوى[1] تقاوى تكفى لزرع عشرين فدانا حتى يعمم انتشاره[2] كما أرسلنا لهذا الغرض أحسن أنواع (المانجه) و (الموز) الاحمر والاصفر المضلع أيضا وغيره من الاصناف المتعددة من الفاكهة الزكية الرائحة اللذيذة الطعم التى رجوت انتشارها فى مصر . وبعثنا اليه أيضا بأنواع الحبهان والقرنفل والبانليا الطيبة الرائحة .

ثم زرنا مزارع صديقنا السير لبتن بجهر (بيراسيا) ومكثنا بها شهرا أيضا . وعدنا بعد ذلك الى (دمبتنا) مرة ثانية وأقمنا فيها ٤٠ يوما كأربعين لحظة فى سرور وراحة لايكاد يدكهما عقل انسان ، وذلك بفضل اعتناء الرجل المهذب المستر موريس ناظر مزرعة دمبتنا وهمة الشاب اللطيف المستر برى ناظر مدرسة بيراسيا

---

(١) من أعيان الغربية وكبار رجالاتها ، كان صديقا لعرابى ، وأبدى الكثير من الشهامة والانسانية عندما وقعت المذابح فى طنطا والمحلة الكبرى فقام بحماية الاجانب من الأخطار التى واجهوها . انظر أحمد شفيق : المرجع السابق جـ ١ص ١٨١ .

(٢) حتى فى محنه النفى لم ينسى عرابى وطنه ، فحاول نقل كل شئ مفيد اليه لتجربته فيه والاستفادة منه .

ثم قفلنا راجعين الى كولمبو ونحن نرتل آى الشكر والثناء لصديقنا السير توماس لبتن معجبين بكرمه وحسن اعتنائه بنا . .

انتقالنا الى كندى

وفى سنة ١٨٩٢ انتقلنا الى مدينة كندى عاصمة الجزيرة قديما وعولنا على الاقامة فيها لقرب مناخها لمناخ مصر فى زمن الربيع . وقد أمر الحاكم السير ارثر غردون بسفرنا فى صالونه الخاص بالسكة الحديدية . وكان قد استأجر لنا منزل المستر فيجانيكا حاكم البلدة ، وهناك أقمنا الى وقت عودتنا الى بلادنا

وكان قد سبقنا بالاقامة فى مدينة كندى محمود باشا سامى ويعقوب باشا سامى وطلبة باشا عصمت ثم قام على أثرنا على باشا فهمى . ولم يبق فى كولمبو غير محمود باشا فهمى لانه كان قد أصيب بشلل فى جانبه الايسر

وفى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١٢ حضر محمود باشا فهمى الى كندى لتغيير الهواء ونزل ضيفا على ولدنا السيد محمد بك عرابى ولكن أجله لم يمهله حيث توفى فى ليلة ١٣ من الشهر المذكور ودفن فى قرافة «منيرة كندى»[١] .

ومدينة كندى هذه قائمة فى واد ذى ثلاث شعب بين ثلاثة جبال . وبها بيت للحاكم ومحكمة نظامية فى بيت ملوك طائفة الشنكليز .

وفى منتصف المدينة بركة عظيمة طولها ميل وعرضها من ٢٠٠ الى ٤٠٠ متر تقريبا ، تنصب فيها مجارى السيل من رؤوس الجبال . وعليها حاجز من الشمال وقنطرة لصرف المياه الزائدة عن منسوبها . وعلى حافتها أشجار المانجو والدوم وجوز الهند وغير ذلك . وهى محل النزهة العمومى

وفوق الجبل الغربى خزان للمياه المنبجسة من قمته طوله نصف ميل وعرضه مائة متر وعليه سد عظيم وفى جانبه الجنوبى جدول فوق سطح الخزان تنصرف فيه المياه الزائدة وتمتد منه المواسير الموصلة الى أعلى نقطة من بيوت المدينة

(١) A.M Broadley : The Trial, Exile and Pordon of Arabi Pacha VOL . 3 No 641.

وفى هذه المدينة الجميلة منتزه يقال له (سيرادينيا جاردن) على نهر سيرادينيا مساحته نحو ٦٠٠ فدان كله أشجار من أنواع مختلفة وبجانب كل شجرة منها لوحة مكتوب عليها اسم نوعها وبلادها الاصلية . وهو منتزه فائق الابداع ، وله دفتر يقيد فيه اسم كل من دخله

معبد كندى

وفى وسط المدينة معبد عظيم عليه قبة شاهقة فوقها كرة كبيرة من الذهب الخالص . وفى هذا المعبد سن منسوبة (للبوذا) موضوعة فى علبة من ذهب داخل صندوق من الآبنوس ، ويجتمع أهل الجزيرة فى مدينة كندى كل عام لمدة أسبوعين فى مولد البوذا ويسير الموكب ليلا فى الطرقات حتى تنتهى مدة الاحتفال

أما كيفية سير الموكب فهى أن تطوف فى الشوارع من ٤٠ الى ٥٠ من الافيال وعليها السروج المزركشة ثم يمشى خلف الموكب أحد ذرية ملوك سيلان وخلفه فيل عليه شبه خزنة للعطايا وأمامه ذرية الوزراء ثم الاعيان ، وكل واحد من هؤلاء خلفه ثلاثة أفيال أو أربعة وهو ماش على أقدامه ملتحفا بردائه المزركش على حسب عوائدهم القديمة ، وحوله رجال ادارته وبين يديه الطبول والزمور والرقاصين . وهكذا يجرى الموكب حتى تنتهى مدة الاحتفال بالمولد

المساجد والمسلمون

وفى المدينة المذكورة ضريح للسيد شهاب الدين على مرتفع من الارض يصعد اليه بمرتقى نحو ٢٠ سلما ، ومسجده عظيم متقن وهو حرم المدينة

وهناك مسجد آخر لطائفة (الملاى) وكنيسة للبروتستانت وأخرى للكاثوليك ومعابد لطائفتى (التمل والشنكليز) ويبلغ تعداد هذه المدينة نحو ٢٠ ألف نفس منها نحو ١٠ آلاف من المسلمين ، وكلهم على مذهب الامام الشافعى رضى اللّه عنه . وفى الايام العشرة الأول من شهر المحرم يقيمون المساخر احتفاء بدخول العام الجديد على أشكال مختلفة تشبه مايجرى فى مصر وأوربا فى أيام الاعياد . وفى يوم عاشوراء يصنعون قبة تشبه قبة المحمل مغطاة بكسوة من مزركشة تسمى (باجورا) ويسيرون بها بموكب عظيم

فى أغلب شوارع المدينة وأمامهم الموسيقى والطبول والزمور والصنوج احتفالا بذلك اليوم .

وأما ثغر (كولمبو) فيسكنه نحو ١٥٠ ألف نفس والمسلمون منهم يبلغ عددهم نحو ٢٠ ألفا والباقون من الهندوس والشنكليز والتمل والبرتغاليين والهولنديين وقليل من الفرس . وفيه سبعة مساجد . الجامع الكبير فى مركز المدينة وجامع (مردانه) وجامع الملاى فى مركز جزيرة العبيد (سليف آيلند) وجامع (متوال) وجامع (كوليتى) وجامع (كارمجى جعفرجى) للشيعة وجامع (الشيخ عبد الله) فى بساتين القرافة .

الفصل الثانى
فى أعمال البرلمان الانكليزى
فى المسألة المصرية بقلم القس لويس الصابونجى[١]

لاخفى الا ويظهر ولا مكتوم الا ويعلن . ان معظم الانكليز الذين كانوا منذ ١٢ شهرا متألبين على عرابى باشا وحزبه ومستنصرين للخديو وحزبه قد انقلبوا انقلابا غريبا لم يخطر على بال عاقل . ولاريب ان سبب هذا الانقلاب كان مستر بلونت ورفيقاه الذين ثبتوا ثبات الابطال امام دولة عزيزة الشأن شديدة البائس وامام أمة كان بلغ البغض منها لعرابى ولانصاره غاية منتبهاه حتى تمكنوا أولا من انقاذ عرابى ورفقائه من مخالب الموت الاحمر ثم نجحوا فى برهة ١٢ شهرا فى أن يقنعوا الامة البريتانية التى كانت قد انخدعت بدسائس وزارتها ومندوبيها بان الحرب التى سفكوا دماء اولادهم فيها وخسروا أموالهم بسببها كان الباعث عليها حضرة الخديو الذى استنصروا وليس عرابى باشا الذى بغضوه واساءوا معاملته .

فليعلم المصريون على اختلاف أجناسهم وأديانهم أن سقوط حضرة الخديو محمد توفيق لايصير الا بواسطة مستر بلونت ورفيقيه وسقوط الخديو يكون سببا لسقوط غلادستون ووزارته وأن رجوع عرابى ورفقائه الى مصر لايتم الا بواسطة مستر بلونت ورفيقيه . فانهم لم يرقدوا طول هذه المدة من الليل ربعه وهم ساعون فى تحصيل الشهادات اللازمة حتى جمعوا من الادلة الراهنة مايثبت جناية الخديو فى مذبحة ١١ يونيو وسلموها الى لورد رنديف شرشهيل[٢] وبعد قيام الفحص فى صحة تلك الأدلة من كثير من أعضاء البرلمان اتفق عليها نحو ٥٧ منهم . وقام لورد رندلف شرشهل فى مقدمتهم وخطب فى البرلمان نهار الجمعة ٩ جون سنه ١٨٨٣ وقال ما ملخصه :ـ

---

(١) القس لويس صابونجى صاحب جريدة النحله كان كثير النقد وشديد الهجوم على عرابى لدرجة أن يعقوب صنوع الصحفى والكاتب المسرحى ارسل لعرابى وهو فى منفاه بسيلان يطلب منه كتابة رسالة له فيها موجزا لحياته حتى يستطيع بها الرد على صابونجى ، كما أن عرابى كتب رسالة ردا على صابونجى اسماها «افك صاحب النحلة» . انظر : الهلال فى مارس ١٩٧١ تحت عنوان وثائق جديدة وخطيرة عن الثورة العرابية تنشر لأول مرة ص٧٢ .

(٢) يقصد لورد راندولف تشرشل Lord Randolph Churchill اللورد الأول للخزانة البريطانية والتى قام بحملة ضد وزارة جلادستون فى عام ١٨٨٣ .

ان الخديو محمد توفيق ليس فقط كان محالفا لوزارة غلادستون بل كان فى يدهم العوبة يلعبون به حسب هواهم . وتبرعوا من تلقاء انفسهم للمحامات عنه وبناء على ذلك كان ماصدر من الخديو وهو فى تلك الحالة تطالب به وزارة غلادستون القابضة على زمام اعماله السياسية فكان السرمالت مندوب وزارة غلادسطن[١] بمصر خليلا حميما للخديو وموضع اسراره ومسند ثقته . ولاينكر انه كان مطلعا على كل ما كان يريد الخديو ان يفعله لتقوية شوكته واذلال عرابى والحزب الاهلى . فان ثبت جناية الخديو فى مذبحة ١١ يونيه ثبت ايضا اشتراك وزارة غلادسطن فيها . وعندى براهين تثبت أنه لولا مبادرة وزارة مستر غلادسطن الى توفيق باجراء محاكمة عرابى باشا لكانت الادلة التى تثبت الجناية على الخديو وعلى المستنصرين له قد اعرضت على هذا البرلمان منذ اشهر وقلبت افكار رجاله من زمن مديد . وعندى كذلك ادلة تثبت ان رجلا من أهل الثقة عرض على لورد دفرين أيام كان بمصر أن يأتيه بشهود عيان ثقه يثبتون له ان الخديو وعمر لطفى كانا السبب فى مذبحة ١١ يونيه بشرط أن يضمن لورد دفرين حياة الشهود . فكأن اللورد المشار اليه قد أدرك أن الأدلة على ذلك قوية وتشرك فى تلك الجناية ماعدا الخديو وعمر لطفى رجالا كثيرين من اصحاب المناصب والوظائف العالية بمصر وخارج مصر فخشى العواقب ورفض أن يضمن حياة الشهود من خطر الظلم لئلا يجرؤهم على اداء الشهادة التى وان كانت لله فكانت عليه وعلى الوزارة التى ارسلته وعلى الخديو الذى جاء لعضده وبناء على ما اسلفت اقول انى مستعد لاثبت أن الخديو محمد توفيق باشا هو الذى سعى فى ذبح النصارى وغيرهم من رعية دولة ملكة بريطانية حتى يغريها بارسال اسطولها الى مصر لاذلال عرابى باشا والحزب الاهلى الذى نسب اصل المذبحة اليه ظلما وعدوانا .

وهاكم الآن بعضا من هذه الاستبيانات الابتدائية بوجه الاختصار لتكونوا على بصيرة . أما الادلة الراهنة فلا ابدوها لكم حتى تقوم الشكوى رسميا على الخديو . واما الاستبيانات فهى أمور تستدعى انتباه العقلاء اليها وهى هذه :ـ

اولا : لقد اتضح جليا أن الخديو بعد وقوع النزاع بينه وبين وزارة محمود باشا سامى اراد أن يتخذ له سندا يعادل قوة الجهادية الذين كانوا يعضدون وزارة محمود باشا سامى .

(١) يقصد وزارة جلادستون .

فاحتال على مشايخ عربان البحيرة والغربية بواسطة رجل يقال له ابراهيم بك توفيق (مدير البحيرة) وارشاهم بنحو عشرين الف جنيه ووزع أكثر المال على قبائل أولاد على النازلين فى الاراضى الغربية الكائنة بين القاهرة واسكندرية فاقبلت عليه مشايخ تلك القبائل الى القاهره على طريق الجيزة ليثيروا شغبا فى العاصمة . لأن رجال المعية الخديوية كانوا يحاولون وقتئذ أن يثبتوا لأهل اوربا وجود الفوضى فى القطر المصرى ويظهروا لهم ضعف الوزارة الأهلية . ولكن حبطت اعمال الخديو فى تلك الدسيسه . لأن اكثر العرب[1] خافت أن تدخل القاهرة محتجة بان نهر النيل فاصل بين القاهرة وبين الاراضى التى يسكنونها . اما بعض من قبائل اولاد على فنجح فى ادخالهم الى اسكندرية بواسطة عمر لطفى الشركسى المحافظ ليشتركوا فى مذبحة ١١ يونيو سنه ١٨٨٢

ثانيا : ان عمر لطفى مع كونه شركسيا (هكذا) تظاهر بادئ بدء بالاتفاق مع الحزب الأهلى ومع اكثر رؤسائه الى منتصف شهر مايو - ولكن لما قدمت القناصل البلاغ الأخير فى ٢٤ مايو سنه ١٨٨٢ واستعفت وزارة محمود باشا سامى استقدم الخديو عمر لطفى الى القاهرة فى ٢٦ مايو ووعده بان يجعله عضوا فى الوزارة الجديده التى كان يحاول تشكيلها ولكن لما عاد عرابى الى دست الوزارة حرم عمر لطفى من ذلك المنصب الذى كان قد وعده به الخديو . هذا أمر مهم يدل على ما كان يؤمله عمر لطفى من الخبر بواسطة اذلال عرابى باشا .

ثالثا : لما عاد عرابى باشا الى نظارة الجهادية واعتبره الناس الرجل الوحيد الذى يقدر على حفظ الامان وتعهد هو نفسه للقناصل بالأمن العام رجع الخديو الى دسيسته القديمة بأحداث فوضى فى جهة خلاف القاهرة . ثم كان قدوم درويش باشا منتظرا فى ذلك الوقت ليكون الفيصل بين الخديو ووزارته . فكان من الواجب على الخديو أن يكون فى يده حجة على الوزارة . ولذلك ارسل فى ٣ يونيه تلغرافا بالارقام الى عمر لطفى باشا باسكندرية فى المعنى الآتى : -

قد تعهد عرابى بحفظ الأمن العام واشاع ذلك فى الجرائد وقد أخذ المسئولية على نفسه بحضور القناصل . فان نجح فى تعهده وثقت به الدول وخسرنا وجاهتنا واعتبارنا وكذلك ان اساطيل الدول حاضرة من مياه اسكندرية وقد هاجت من جرائها خواطر الناس

---

(١) يقصد العربان

ولا يبعد حصول شغب بين الاهالى والاجانب فالآن اختر لنفسك أحد الأمرين إما أن تخدم مصلحة عرابى فى تعهده وإما أن تخدم مصلحتنا .

وقد شهد بصحة هذا التلغراف الرجل الذى كان وقتئذ مستخدما فى ادارة التلغراف وحفظ عنده نسخة التلغراف المذكور وسلمه فيما بعد الى من أوصله الينا . والكل مستعدون لتقديم الشهادة على الخدديو متى دعت الحاجة الى ذلك .

رابعا : ان الخديو أرسل قريبه حيدر باشا مرتين فى ذلك الأسبوع الى اسكندرية وكان كل مرة قبل ذهابه وبعد إيابه يختلى معه سرا وكان حيدر باشا فى اسكندرية يوم الحادثة نفسها وخرج منها الى القاهرة حالا بعد نهاية المذبحة مساءً .

خامسا : نشرت فى بحر ذلك الاسبوع جريدة المحروسة ، وكانت لسان شريف باشا ومحررها سليم افندى النقاش المارونى البيروتى اصلا ، اخبار فتنة زعمت انها ثارت بالقاهرة وكان غرض الذى اذاع تلك الاخبار الكاذبة أن يهيج الخواطر ويهيئ أفكار الناس إلى ما كان حدوثه قريبا باسكندرية . وكانت هذه الإشاعات زائعة فى الدوائر السياسية . وقد وقعنا على أصل منشئ تلك الاشاعات .

سادسا : كانت العرب[١] قد اجتمعت الى جوار اسكندرية قبل المذبحة بأيام قليلة وصار اشعار المحافظ عمر لطفى باجتماعهم فلم يبال بذلك ، ثم كان قد صار اشعاره أيضا بأن اجتماعات غير عادية صائرة من رعاع الاجانب فى المدينة وهو لم يتخذ الاحتياطات اللازمة لمنعها .

سابعا : أن الخديو بعد مفاوضته مع درويش باشا فى ٩ يونيو أرسل قبل المذبحة بيومين واستقدم عمر لطفى بقطار مخصوص من اسكندرية الى القاهرة . ثم بعد مفاوضته معا سريا بعث به الى الاسكندرية حالا .

(حاشية) عندنا أدلة على أن الخديو رهن أطيان امراته واستقرض بها ٥٠٠٠٠ جنيها حتى أرشى درويش باشا بثلاثين الف جنيه والسيد أحمد اسعد بتسعة الاف جنيه . وكانت قد نشرت هذا الخبر بعض الجرائد الايطاليانية فى البندقية (فناسيا)[٢]

---

(١) يقصد العربان .

(٢) يقصد فينيسيا .

ثامنا : انعقدت جمعية فى محل درويش باشا قبل المذبحة بيوم حضرها درويش باشا وأحمد أسعد افندى مندوبا السلطان ومحمود باشا سامى وعرابى باشا وكان هذا أول اجتماع حصل بين درويش باشا وعرابى . وان درويش تظاهر بتقديم الاكرام والوداد لعرابى ثم الح عليه بان يحيل الى عهدته نظارة الجهادية ويذهب الى الاستانة . وأن عرابى رضى باقتراحات درويش باشا بشرط أن يعطيه تعهدا مختوما يرفع به عنه مسئولية تعهده بحفظ الامان والراحة العمومية فوعده درويش باشا بذلك ولكنه قال له أن يصبر الى يوم الاثنين القادم ١٢ جون[1] . واحتج على هذا التأخير بقوله أن يوم الاثنين المذكور يصير اجتماع القناصل مع الخديو للنظر فى ذلك . وبناء على هذا التعليل أبقى درويش باشا المسألة متعلقة بينه وبين عرابى .

تاسعا : عندما وصل عمر لطفى الى اسكندرية استقدم السيد قنديل مأمور الضبطية وتفاوض معه فى طريقة اتخاذ الوسائط الضرورية لقيام فتنة فى المدينة تدوم نحو ساعتين . وكان السيد قنديل بادئ بدء يأبى الذهاب الى عمر لطفى اما لمرض كان اصابه حقيقة وأما تصنعا لمعافاته من الذهاب الى عمر لطفى . غير أنه تساهل اخيرا فى الذهاب اليه ولكنه ابى أن يجعل يده مع عمر لطفى فى تلك المؤامرة . فعاد الى منزله ولازم فراشه واقام مقامه حسن بك صادق مأمورا على الضبطية . اما البراهين الحاضرة فى اليد تدل على أن غرض عمر لطفى وحزبه كان مقتصرا على اثارة فتنة تدوم ساعتين لاغير . ولو كان عرابى باشا احال إلى عهدة درويش باشا نظارة الجهادية لما كان احتياج الخديو الى اثارة الفتنة . ومما يستحق الانتباه اليه هنا هو أن البوليس وعساكر المستحفظين الذين اشتركوا فى ذبح النصارى كانوا تحت أمر عمر لطفى محافظ البلد وكانوا يأخذون معاشاتهم منه ومن حيث لم تكن المدينة وقتئذ تحت قانون عسكرى فما كان يسوغ للجهادية أن يتداخلوا فى اخماد الفتنة بدون امر صريح رسمى من المحافظ وكان المحافظ نفسه تحت أمر الخديو فقط شرعا . لأن منصب نظارة الداخلية كان باقيا فى عهدة الخديو منذ استعفاء محمود باشا سامى .

عاشرا : ـ كان بدء المذبحة نهار الاحد ١١ جون على يد رجل مالطى استأجر حمارا ودار زمانا على حانات الخمر الى جوار منازل الاجانب . ثم أقبل الى قهوة يقال لها قهوة

---

(١) يقصد يونيو .

القزاز وتخاصم على بابها مع صاحب الحمار على اجرته . وكان صاحب الحمار مسلما يقال له السيد العجان فتتبع المالطى الى داخل قهوة (جهة قسم اللبان) فحنق المالطى عليه وطعنه بمدية فى احشائه وآل ذلك الى مذبحة عامة فى المدينة .

ولما دعت الضرورة الى استدعاء البوليس والمستحفظين لاخماد الثورة ابوا بادئ بدء أن يقوموا بفروضهم . ولكن لما رأوا اشتداد خطب الثورة بادروا الى استغلالها وزادوا نارها اشتعالا . وفى غضون ذلك اطلق بعض من المالطيين نار البنادق من نوافذ منازلهم على مجموع الناس فى الأزقة من دون ان يبادئهم أحد بالشر . ثم اقبل بعض من رعاع المسلمين كان أكثرهم من البرابرة ومعهم عصى ووقعوا فى الناس ضربا . ثم جاء ت العرب[1] وزادت فى الطنبور نفحة وانتشرت المذبحة فى أنحاء المدينة . وفى أثناء ذلك طلب عمر لطفى الى قنصل الانكليز أن يسعى فى اخماد الثورة (التى دبرها) فاقبل مستر كوكسن الى عرضة المقتلة مرتين ودخل بيت رجل مالطى كان قد اخفى عنده المالطى الذى جرح السيد العجان وعند خروج القونصل من ذلك المنزل حسب الرعاع انه هو المالطى جارح العجان . فهجموا عليه وضربوه فى رآسه بعصا .

أما عمر لطفى فلم يأت بادئ بدء الى ساحة المذبحة . ولما اضطر الى ذلك قدم بثوب عادى غير رسمى واكتفى بالفرجة على ما كان جاريا . وقد قيل أن قوما من الذين كانوا هناك سمعوه ينادى فى العرب[2] ويحرضها بالوقوع فى النصارى ولما قامت الفتنة لم يرسل عمر لطفى خبرا الى ضباط الجهادية ولا الى عرابى باشا الذى كان قد تعهد بحفظ الامان ولكنه بعث برسائل برقية عديدة الى الخديوى فى شأنها .

وكان جواب الخديو على بعض تلك التلغرافات مقتصرا على نصح عمر لطفى بأنه يمسك عن استنجاد الجهادية لاخماد الفتنة بل أن يطلب من الاميرال الانكليزى ارسال عساكر بحرية ليكون حضورها باعثا على تهييج افكار الاهالى واتساع نطاق الفتنة . فامتثل عمر لطفى امر الخديو وما طلب الى سليمان سامى ارسال عساكر الى مركز الفتنة الا بعد الساعة الرابعة بعد الظهر وكان ذلك الطلب شفاها لاخطا رسميه . وهذا السلوك المخالف للأصول زاد اخماد الفتنة تأخيرا .

(١ ، ٢) يقصد الأعراب .

اما سليمان داود لما درى بعظم الخطب أرسل من تلقاء نفسه فرقة من جنوده المتسلحة فأطفأوا نار الفتنة .

١١ ـ لما بلغ خبر المذبحة الى مصر حصل فرح عظيم لرجال الخديو ولمن لاذ به . وقيل أن كثيرا من الناس سمعوا رجال المعية الخديوية يقولون «نعم الصنيع فان ذلك لاريب باعث على كسر شوكة عرابى» وعلى سرور الخديو ورجاله بتلك المذبحة الفظيعة أدلة كثيرة . وعلى كدر عرابى ورجاله براهين غير قليلة . ومن جملة مايثبت سوء نية عمر لطفى والخديو هو انهما لم يخبرا عرابى باشا ولم يستنجدا جهاديته الا نحو الساعة الخامسة بعد الظهر .

١٢ ـ لم تسمح قناصل الدول باجراء بحث حقيقى فى اسباب الحادثة التى وقعت فى ١١ يونيو مع أن عرابى باشا كان يلح دائما باجراء بحث وافى . وكان بعض من القناصل ولاسيما القنصل الانكليزى يساعدون الخديو على مقاومة عرابى وصده عن اجراء البحث فى أسباب المذبحة لانهم كانوا عارفين أن كثيرين من الأجانب قد اشتركوا بتلك المذبحة عند ابتدائها . تم لما تشكلت وزارة راغب باشا أخيرا وتظاهر الخديو بعقد الصلح والاتفاق مع عرابى باشا وحزبه أهمل قيام البحث فى أسباب المذبحة رأسا وان كانت قد بدت الحقيقة للعيان[١] .

١٣ ـ لم يصر استنطاق عمر لطفى محافظ اسكندرية ولا استجواب حسن بك صادق الذى كان يوم المذبحة مأمور البوليس ولا كلفا الى المحاكمة بوجه من الوجوه . ولكن بعكس ذلك اذن الخديو لعمر لطفى بأن يغيب عن مصر بعد حادثة ١١ يونيو . وكان عمر لطفى على أهبة السفر الى اوربا فتداركه الاميرال سيمور بضرب اسكندرية . ثم استدعاه الخديو بعد ذلك واقامه فى منصب نظارة الجهادية عوضا عن عرابى اتماما لوعده اياه .

ومازال عمر لطفى المتهوم بمذبحة اسكندرية فى منصب الوزارة محفوفا بالاكرام من الذين سعوا فى سفك دماء أولادهم وخراب ديارهم . ولولا المذبحة التى اشترك مع

---

(١) كانت المأساة مدبرة لاثبات عدم قدرة عرابى فى المحافظة على الأمن مما كان له أثره فى وقوع العديد من المآسى بعد ذلك .

الخديو (ومالت وكوكوسن[1] فى اجرائها لما وجد فى يد الاميرال سيمور حجة على ضرب اسكندرية انتقاما لدم الاجانب

الجلسة الثانية

فى قيام الشكوى على الخديو

انعقد البرلمان الانكليزى فى ١٢ يونيو سنه ١٨٨٣ ونهض اللورد رندلف شرشرشل[2] وقال ما خلاصته : ـ قلت نهار الجمعة المنصرم فى هذا البرلمان انه كانت قد أعرضت على اللورد دفرين أيام كان بمصر ادلة تثبت اشتراك عمر لطفى مع الخديو فى مذبحة ١١ يونيو فرفض قيام البحث فيها . ولما قلت هذا انكره علىّ مستر غلادسطن وقال «هذا ما جرى» . فالآن اسأل مستر غلادسطن هل قرأ هذا النهار رسالة نشرتها جريدة التيمس من قلم مستر ايف وكيل عرابى باشا قال فيها ما نصه ـ لاشك ان جانبا من الادلة أعرضت على لورد دفرين قبل ختام محاكمة عرابى باشا لكى يقف على حقيقتها . وكانت تلك الأدلة منحصرة فى ما يأتى : ـ

أولا : أن الرجل الذى أعرض تلك الأدلة تعهد باحضار شهود عيان يشهدون على أن عمر لطفى أمر سليمان سامى بك أن يأتى بالايه الى ساحة المذبحة بدون سلاح وان سليمان سامى رفض أن يسير بعسكر غير مسلح لئلا يصير سخرية لأعدائه الذين كان قصدهم بذلك أن ينسبوا الفتنة له . ثم لما علم أن عدم ذهابه ربما يجلب اللوم من جهة أخرى ذهب الى ساحة المذبحة بعساكر (مسلحة) وليس غير مسلحة (كما طلب عمر لطفى) واطفاء نار الفتنة حالا .

ثانيا : تعهد الرجل المذكور اعلاه باحضار رجل آخر هو نفس الرسول الذى اخذ الأمر الشفاهى من عمر لطفى الى سليمان سامى ورجع بالجواب من سليمان سامى الى عمر لطفى .

(١) يقصد كوكسن .
(٢) يقصد اللورد راندولف تشرشل .

ثالثا : تعهد باحضار رجل اخر سمع عمر لطفى[١] يحرض العربان والرعاع على ذبح النصارى . فلما سمع اللورد دفرين هذا الكلام صرخ وقال للرجل الانكليزى أن محاكمة عمر لطفى ليست من واجباتى . ثم قال اللورد شرشهل[٢] هل يصبر مستر غلادسطن بعد قراءته هذه الرسالة على ماقاله فى دار الندوة نهار الجمعة حيث اعلن جهارا بأن ماقلته فى حق اللورد دفرين لا أصل له . ثم قال لورد شرشهل ـ كذلك إنى اسأل مستر غلادسطن ماذا قصد بقوله نهار الجمعة حيث قال ـ «ان لمن فروض الحكومة الانكليزية ان تقيم الفحص فى كل شكوى ترفع اليها . ومن فروض رجالها أن يبحثوا فيها بتدقيق» فهل عنى بهذه الشكوى الحقيقية تلك الشكوى (الفظيعة) القائمة على الخديوى محمد توفيق بدعوى أنه أغرى عمر لطفى باجراء مذبحة ١١ يونيو باسكندرية سنه ١٨٨٢ لجلب اللوم على عرابى وحزبه . فان كان الأمر كذلك فليقل لنا مستر غلادسطن متى تقوم حكومته بهذا الواجب عليها وبأية طريقة تريد قيام الفحص فى الشكوى .

فنهض مستر غلادسطن فى البرلمان وقال ـ لقد اصاب اللورد الشريف فيما نقله عنى . فانى قلت انه من الواجب على الحكومة ان تقيم البحث فى كل شكوى صريحة ترفع اليها . ولكن هذه شكوى فظيعة جدا . وكل عضو من اعضاء هذا البرلمان يقيم الشكوى على الخديو يعرض نفسه لمسئولية عظيمة . فلما قال هذا حبذه الوزراء الذين من حزبه فقط . ثم جلس .

فنهض اللورد شرشهل[٣] وقال ـ انى مستعد تمام الاستعداد لأعرض جميع الأدلة التى فى يدى وفى يد غيرى على كبير الوزراء لكى يقف عليها ويحكم بنفسه على صحتها . ولكن لا افعل ذلك حتى يقول ماهى صفة المجلس الذى يريد أن يعينه لقيام الفحص فى الشكوى . فلما قال هذا صرخ بعض من النواب وقالوا ياللعجب : اسمعوا ماقيل فنهض مستر غلادسطن وقال : أن الحكومة هى أول مجلس يفحص مبادى الشكوى . ولكن لايكون ذلك البحث نهائيا قطعيا . فان لم تقم الحكومة بما هو واجب

---

(١) لايستطيع منصف أن يبرئ عمر لطفى أو كوكسن أو مالت من التخطيط لهذه المذبحة

(٢) يقصد راندولف تشرشل .

(٣) يقصد راندولف تشرشل .

عليها حق لرافع الشكوى أن يحيلها الى البرلمان . اما السؤال الذى عرضه على لورد شرشهل فملتبس ولذلك اوضحه قبل الرد عليه . فانى لما قلت له ان اللورد دفرين ليس له اطلاع على أدلة تثبت الشكوى أردت بذلك الشكوى على الخديو . لأن الأدلة التى اشار اليها اللورد شرشهل منحصرة فى الشكوى على رجل يقال له عمر باشا لطفى . فمن فروض اعضاء البرلمان أن يبذلوا وسعهم فى الفحص فى المسائل المتعلقة بالموت والحياة . وأنا أقر بأن لمجلس النواب حق فى الوقوف على كل مافعلته وزارتى فى المسألة المصرية وفروعها .

ثم نهض لورد شرشهل ووجه خطابه الى لورد فيتزمورس الذى خلف السار شارلس ديلك وقال ان الجواب الذى رده اللورد فيتزموريس على سؤال السير نورثكوت جوابه غير شافه . ولا عجب فى هذا لأن وزارة مستر غلادسطن غير قادرة على الدفاع عن سياستها . والبرهان على ذلك هو أن تعليل لورد فيتزمورس الفارغ وحججه الضعيفة أشهر من أن تذكر . فان اللورد المومى اليه قد ناقض نفسه بنفسه اذ قال ان وزارة مستر غلادسطن لم تشك أبدا فى عدالة الحكم الذى أبرمته المحكمة المصرية على سليمان سامى . فهذا الإقرار جعل وزارة غلادسطن سخرية لدى اعضاء البرلمان نهار الجمعة الماضية . فلو كان مستر غلادسطن ووزراته متحققين صحة الحكم المبرم على سليمان سامى كما زعم لورد فيتزمورس ما كان قال مستر غلادسطون نهار الجمعة نفسه فى هذا المحضر ـ انه لايعرف تفاصيل الدعوى ولايقدر أن يفيد عنها أعضاء البرلمان . فاذا كان مستر غلادسطن نفسه أقر بانه لايعرف تفاصيل الدعوى فكيف تحقق واقتنع هو ووزراءه بأن الحكم كان عادلا . واثباتا لجهله حقيقة الحال انه ارسل تلغرافين فى ذلك النهار عينه الى مصر ليستقصى فى عدالة الحكم . وهذا دليل آخر على الخوف الذى اعتراه من افتضاح أمره واكتشاف دسائس وزارته . وكان واحدا من التلغرافات المذكوره مرسلا منه إلى السير مالت يسأله به عن اليوم المعين لشنق سليمان .

فنهض اللورد فيتزمورس ورد على لورد شرشهل وقال أن التلغراف المشار اليه كان منطوقه : ـ هل يشنق سليمان سامى؟

فنهض اللورد شرشهل[١] وقال نعم الجواب جوابك أيها اللورد فانك بقولك هذا اتيت عذرا أشد قباحة من الذنب وزدت الطين بلة . فاذا كانت وزارة مستر غلادسطون قد تأكدت وثبت لديها أن الحكم المبرم على سليمان سامى بالقتل كان حكما عادلا فماذا كانت الى الحاجة الى ارسال تلغراف الى السير مالت فى الساعة السابعة بعد الظهر لكى يستفهم منه - هل يجرى تنفيذ الحكم على سليمان ام لا . وماذا كانت الحاجة الى ارسال تلغراف ثانى بعد الأول إلى الماجور مكدونلد لطلب رأيه فى عدالة الحكم او عدم عدالته . ولكن سمعت بعض منكم يقول أن لورد غرانقيل ناظر الخارجية لما تحقق من الخبر المذاع فى جرنال التيمس ان سليمان داود قد حكم عليه بالموت . عقد عزمه حينئذ على قيام الفحص فى عدالة الحكم . واحتج السير شارلس ديلك بأن التأخير الذى حصل فى اجراء الفحص كان الباعث عليه طول الزمان الذى كان ضروريا لكتابة التلغراف بالشفرا (أى بالارقام) فضحك أعضاء البرلمان من ركاكة جواب السير شارلس ديلك .

ثم قال اللورد شرشهيل - لاعجب اذا كانت سياسة الحكومة الغلادسطونية[٢] فى الخارج سياسة ذات عواقب سيئة . فان الوزارة الخارجية عقدت عزمها على قيام الفحص فى عدالة الحكم يوم الخميس مساءً . ومع أن المسألة كانت مسألة موت وحياة فما بادرت الوزارة الى قيام الفحص فيها الا بعد الساعة السابعة نهار الجمعة ومع هذا التأخير كله لم يأت جواب من مصر الا بعد شنق سليمان داود . ولاجرم أن الذين فى يدهم زمام الاحكام بمصر وبهذا البرلمان رأوا أن الاسراع الى قتل سليمان سامى ضربة لازب ليدفنوا مع عظامه اسرارا مهمة لو عاش لأباح بها وفضحهم شر فضيحة (لو كان هناك تحقيق صحيح) والشاهد على قولى ما نشرته جريدة التيمس المشهورة بتشيعها للحكومة المصرية وللوزارة الغلادسطونيه اذا قال مكاتبها مستر بيل الانكليزى المقيم باسكندرية ما نصه : - أن سليمان سامى أقر بأن حرق اسكندرية بأمر عرابى باشا (انه لم يعترف بالحرق ابدا) وبناء على ذلك طلب مسيو جاكوب المحامى عن سليمان سامى باحضار عرابى باشا إلى الشهادة أو بارسال كومسيون إلى سيلان للتحقيق من عرابى فى صحة الأمر .

(١) يقصد راندولف تشرشل .

(٢) يقصد حكومة جلادستون .

فانكر المجلس طلب مسيو جاكوب . وكان نفس المجلس قد اعطى المحامى مهلة ١٤ يوما ليستعد للمدافعة عن سليمان داود . ولكن اكرهه المجلس بعد مرور ثمانية ايام فقط من الميعاد المضروب على تقديم حججه للمدافعة وهذا السلوك المغاير للأصول جعل مسيو جاكوب (يعقوب) أن يغضب من تلك المعاملة السيئة . هذا ماجرى فى محاكمة سليمان سامى فلننظر الآن اذا كان ذلك يوافق ما قاله لنا مستر غلادستون فى هذا البرلمان منذ شهر ونيف حيث صرح لنا بالطريقة التى كان يجب السلوك فيها لاجراء محاكمة سليمان داود ورفقائه . فانى عرضت وقتئذ على مستر غلادسطن أن المجلس الحربى استجوب الشهود على سليمان داود فى غيابه خلافا للاصول المرعية فى الحكم الانكليزى وفى المحاكمات التى تجرى تحت نظر رجال من رجال الدولة الانكليزية . فناقضى مستر غلادسطن وقال :ـ

إن الوزارة الانكليزية قد تعهدت بقيام محام يدافع عن سليمان داود حق المدافعة وبأن يكون لهذا المحامى حق فى تقديم كل الأدلة اللازمة وإحضار الشهود لآداء الشهاده دون خوف ولامعارضة وبدون محابات ولا مراعاة خواطر أ هـ

فالآن اطلب الى المستر غلادسطن الذى قرر التقرير المذكور منذ شهر أن يمعن النظر فيما نشرته جريدة التيمس المشيعة له ولوزارته وللحكومة المصرية القابض على زمام سياستها وليقل لنا بعد ذلك فمن منا هو الصادق بتقريره ثم قال مستر بيل مكاتب التيمس فى اسكندرية مانصه :ـ

ولما قامت المحاكمة على سليمان داود اراد المحامى عنه أن يفتح الدعوى من جديد ويفحص كل الشهود الأولين فى حضور سليمان داود وأن يستقدم شهودا آخرين اذا دعت الحاجة الى ذلك . فرفض المجلس طلب المحامى وأمر بابرام الحكم على سليمان بناء على مانسبه اليه القومسيون فقط . فلما رأى المحامى تعدّى المجلس على الاصول الشرعية أقام الحجة على أعضائه وأوقف المحاكمة وطلب اظهار التقارير التى صارت وقت محاكمة عرابى . فرفض المجلس هذا الطلب ايضا . فاغتاظ المحامى من سلوك المجلس المغاير لأصول الشريعة وكف عن المحامات . فلما رأى الماجور مكدونلد الإنكليزى سوء تصرف المجلس مع المحامى نصح اعضاء المجلس بأن يسمحوا للمحامى باستدعاء الشهود الذين يريد احضارهم فقبلوا نصيحته بادئ ذى بدء ولكن

انقلبوا بعد ذلك بغته وقر رأيهم على ابرام الحكم بالموت على سليمان داود . (انتهى كلام المكاتب المذكور) . وقال اللورد شرشهبل هل ما قاله مكاتب التيمس يطابق قولى السابق ام يطابق قول مستر غلادسطن . فالحمد لله على كونى وجدت رجلا من حلفاء مستر غلادسطون نفسه قد أخذ على نفسه دون انتباه مسئولية تكذيب مستر غلادسطن ونقض اقواله . ثم قال مكاتب التيمس المذكور : ـ أن المجلس الحربى يحكم بشنق داود نهار غد . فسأل لورد شرشهيل[١] لماذا نهار غد . وقال فى جوابه على ذلك أن الخديو الذى كان يرغب فى الذهاب الى اسكندرية نهار الأحد ما استليق الدخول اليها قبل موت سليمان سامى لئلا يرى بعينه شنق الرجل الذى احرق اسكندريه بامره وطاعته (فلما قال اللورد شرشهيل هذا الكلام قامت فى البرلمان ضجة أعقبتها دهشة) . ثم قال لورد شرشهبل أن الأمر الصادر بحرق اسكندرية كان مختوما عليه من الخديو نفسه[٢] . وأنا أطلب للميدان كل وزراء الحكومة الفلادسطونية اذا كان فيهم من يتجاسر على أن ينكر هذه الحقيقة . وإنى اقول علنا ان مستر غلادسطن ووزراءه وأحزابه قد ارتكبوا جناية من اقبح الجنايات الدموية فى قتل سليمان داود وان دم هذا الرجل على رأس مستر غلادسطن وشركائه الى الابد وهم المطالبون به . (انظر التيمس ١٢جون[٣] سنه ١٨٨٣) ثم قال اللورد شرشهبل أنا اسأل مستر غلادسطن الآن فى حضوره وحضور جميع اعضاء البرلمان فليقل لنا هل قام حق القيام بتعهده لنا فى هذا المحضر نفسه منذ شهر باجراء محاكمة سليمان داود على أصول المحاكم الانكليزية . كلا . لأن المحامى عن سليمان داود أراد أن يطلب شهادة عرابى باشا فى حق سليمان المذكور بناءً على أن عرابى باشا كان أول من وظف سليمان سامى فى الجهادية عام ١٨٨٢ وهو الذى أقامه أميرا على الآلاى السادس ولبث سليمان تحت امر عرابى باشا الى آخر ملحمة التل الكبير .

فاذا كان مستر غلادسطن لم يقم بما وعدنا به فى هذا البرلمان فليقل لنا ماهى الجناية التى استوجب الحكم بالموت على سليمان سامى . لعله يقول (لاعلة سوى احراقه اسكندرية) لا بأس . وانا افرض انه احرق اسكندرية وردمها . ولكن قدسها مستر

(١) يقصد تشرشل .

(٢) ادعاء اللورد تشرشل هذا ليس له أى سند .

(٣) يقصد يونيو .

غلادسطن ووزراؤه اذا لم نقل انهم آثروا الجهل تعمدا عن امر مهم جدا . وهو أنَّ عرابى باشا عند خروجه من اسكندرية بعسكره أمر سليمان سامى أن يلبث فى اسكندريه بآلايه ليحمى العساكر الخارجة الى كفر الدوار من خروج العساكر الانكليزية فى اثرهم . فلما بلغ سليمان سامى أن عساكر الانكليز خارجة الى البر وخشى من ان يخرجوا فى اثر معظم الجيش العرابى خطر بباله ان يتشبث بالوسائط المباحة وقت الحرب بحجة الدفاع منها احراق جانب من منازل الاجانب ليكون خرابها عائقا للانكليز فى خروجهم ومرورهم ويلهيهم اطفاؤها عن الجد فى اثر العساكر المصرية . أو يأخر سيرهم حتى يكون عرابى وجيشه قد تمكنوا من التحصين فى كفر الدوار . فهل اعتبر مستر غلادسطن ووزراؤه احراق اسكندرية واسطة مباحة للدفاع عن عرابى وجيشه . (قالت الوزراء فى الجواب كلا) .

فقال اللورد شرشهل ان كانت وزارة غلادسطن لم تحسب احراق اسكندرية ضربا من فنون الدفاع وقت الحرب فلماذا لم تأمر بشنق عرابى الذى امر سليمان داود باحراقها[1] وشنقت سليمان المأمور فقط . (أن سليمان بك لم يحرقها ولم آمر بحرقها وانما حرقها رجال الاستبداد خصومنا ليشوهوا وجه اعمالنا الوطنية)[2] لماذا ابت وزارة مستر غلادسطن ان تمهل موسيوجا كوبى حتى يطلب شهادة عرابى باشا بواسطة قومسيون هل فات هذه الوزارة أن سليمان سامى كان الرجل الوحيد الذى اخمد فتنة ١١ يونيو هل سهت هذه الوزارة عما هو أشهر من نار على علم ان محافظ اسكندرية عمر باشا لطفى تماهل فى اخماد الثورة الى أن حضر سليمان سامى بالالايه المسلح فى الساعة السادسة واخمد الثورة . وبناء على ذلك أكرر هنا ما قلته نهار الجمعة المنصرم أن الحكومة المصرية كان يهمها جدا ان تشنق سليمان سامى الذى كان مطلعا على اشتراك عمر لطفى مع الخديو فى مذبحة ١١ يونيو . وقد ثبت بأدلة صريحة أن البوليس الذين كانوا تحت أمر عمر لطفى اشتركوا مع الرعاع فى قتل النصارى . وقد اقر بهذا كثيرون وجميع أعضاء البرلمان مطلعون على ذلك . وقد اقر به ايضا ضباط من البحرية الانكليزية وإقرارهم مسجل فى الكتاب الازرق . فهذه الجراءة التى جعلت سليمان سامى أن يتجرأ

(١) الواقع أن حريق الاسكندرية شاركت فيه أكثر من جهة .
(٢) هذا التعليق من عند عرابى .

على اطفاء الفتنة بعسكره حالة ان عساكرنا البحرية نفسها لم تتجرأ على الخروج الى البر لإخمادها كانت كافية لان تنهض همة الوزارة الغلادسطونية لانقاذ ذلك البطل الشجاع من حكم ظالم . ولكن كان من الامور الجوهرية الضرورية للحكومة المصرية وللوزارة الغلادسطونية ان تسرعا الى اعدام سليمان سامى قبل أن يتمكن من إشهار ما عنده من الاسرار (لما فاه اللورد شرشهيل بهذا الكلام حبذه عليه جميع اعضاء البرلمان) ثم واصل كلامه بقوله ان سليمان سامى كان بيده حجج تثبت ان الخديو أقنع عمر لطفى بأن يسعى فى اجراء مذبحة اسكندرية (باشتراكه مع مستر كوكسن) قونصل الانكيز فى اسكندرية . ليسود بها وجه عرابى باشا أمام الدول التى كان قد تعهد لقناصلها بحفظ الامن .

فنهض مستر غلادسطون ليرد الجواب على اللورد شرشهيل[١] وقد علاه الاصفرار وظهرت الحدة فى كلامه ونفر عرق الغضب بين عينيه وكانت هذه اول مرة خطب فيها المستر غلادسطن خطبه خالطتها حدة وكدرة وزاغ فيها مرارا عن موضوع المسألة حتى لحظ ذلك عليه كثيرون من أعضاء البرلمان وقال واحد منهم أنه كاد يغمى عليه وقت الخطاب من شدة الحمق . وقال صاحب نشرة «الايقو» ان مستر غلادسطن تهور فى الكلام تهور رجل غضوب . ولاريب أن من يتشبث بالغضب يخرج عن دائرة الحق والصواب . وقال عضو آخر من اعضاء البرلمان ان رجال الامة الانكليزية لم يروا قبل الآن رجلا تربع فى دست الوزارة الكبرى يتخذ الغضب وحدة الكلام برهانا لاقناعهم . وكان فى أثناء خطابه يقاطعه كثيرون من أعضاء البرلمان بالضحك على أقواله لأنه كان ينسب الى اللورد شرشهيل كلاما لم ينطق به . والذى شدد الخطب على مستر غلادسطن فى هذه المسألة هو تألب كثيرين من اعضاء البرلمان مع لورد شرشهيل عليه . منهم مستردولف والمستر يورك والمستر لابوشبر والمستر اودونل والبارون دى ورمس والسير نورنكوت والسير ولفرد لوسون ومستر ماكون والسير جورج كامبل والسيركروس وغيرهم بلغ عددهم نحو ٥٧ عضوا اكثرهم من حزب الليبرال[٢] . ومن جملة الاجوبة المضطربة التى رد بها مستر غلادسطن على اللورد شرشهبل كان الجواب الذى به حاول ان يفصل

(١) يقصد راندولف تشرشل .

(٢) يقصد الحرية .

دعوى عرابى باشا من دعوى سليمان سامى . فانه قال (وهو قول مناقض لما كان قد قاله العام الماضى)

ان عرابى باشا كان بريئا من حريق اسكندرية وتعهدنا لعرابى باشا كان مختلفا عن تعهدنا لسليمان سامى . ولهذا لم نقدر أن نتداخل فى قضية سليمان سامى . (لم يكن بين الانكليز وبينى ولا بين سليمان سامى أو بين الانكليز تعهدا مطلقا) (فما اقدرهم على الاختلاق فى ترويج مقاصدهم) .

فنهض المستر اودونل ورد على محاولة مستر غلادستون بما يأتى :ـ فقال ان رئيس الوزراء مستر غلادسطن قال العام الماضى فى حق عرابى باشا ماقاله اليوم فى حق سليمان سامى . ومع ذلك يقول الآن ان عرابى كان مجرما سياسيا وان سليمان داود كان مجرما جنائيا . وقد رأيت والحالة هذه فى الخطاب الذى القاه مستر غلادسطن فى ١٠ اغسطس العام المنصرم فى هذا البرلمان ونشرته كل الجرائد انه قد قال ما نصه (لقد خان عرابى الراية البيضاء وتعدى على شرائع الحرب المرعية بين الامم ماتخذها واسطة قبيحة لارتكاب شناعات فظيعة كحرق المدينة والنهب الى غير ذلك) ولما نهضت انا لاشرح لمستر غلادسطن الغاية التى لاجلها رفع عرابى الراية البيضاء قام على حينذاك فى هذا البرلمان ووبخنى جهارا وقال بصريح العبارة (ان خيانة عرابى فى الراية البيضاء صريحة لاتحتاج الى زيادة ايضاح وتأويل وما أقوله فى حق عرابى حق يقنن كما كان ضرب اسكندرية حقا صريحا) ومع كل هذا التحقق المصور فى عقل غلادسطن واعتقاده التام فى جريمة عرابى لم يتجاسر على قتله حتى ولا على محاكمته . بل ارسل لورد دفرين لمصر ليسعى فى لف لدعواه مع برود لى بالتى هى أحسن . ولاريب لولا مستر بلونت ورفقائه بادروانا الى انقاذ عرابى من يد الوزارة الغلادسطونية ومن يد الخديو ومجالسة التى اعضاؤها سفاكوا دماء لكانوا قتلوه مع من لاذ به كما قتلوا سليمان سامى نهار السبت ليدفنوا معه اسرارا لو أباح بها لصارت باعثا على سقوط الخديو وسقوط من سفك دماء الانكليز لتقوية شوكته (أى شوكة الخديو) وقد سلك توفيق باشا وأصحابه فى أمر سليمان سامى مسلك الخديو اسماعيل باشا الذى تألب مع بعض رجال المراقبة على قتل اسماعيل باشا صديق المفتش[1] ليستروا بقتله أمورا لو أباح بها لساقت الخديو اسماعيل باشا مع مساعديه والمشيرين عليه الى المشنقة رأسا .

(١) بعد أحس الخديوى اسماعيل بأن بقاء إسماعيل صديق فى منصب الوزارة سيزيد من ورطته دبر أمر مقتله .

أما احتجاج مستر غلادسطن بعدم قدرته على التداخل فى قضية سليمان سامى فهو أمر يضحك منه الصبيان . فلقد غطس فى القضية إلى رأس انفه وهو يحاول اقناعنا بانه لم يقدر على التداخل فيها . أفلا يحسب تداخل منه ارسال اوامر الى السير مالت ليسعى فى إسراع محاكمة سليمان سامى . أفلا يحسب تداخل منه اصداره أمرا الى الماجور مكدونلد ليراقب المحاكمة . أيضحك علينا بقوله انه لايتعدى على التداخل فى امور مصر وهو يصدر لها الاوامر من دار الولاية بلندن .

لقد دلّنا لعمرى قتل سليمان سامى على الطريقة التى يتخذها مستر غلادسطن فى فتح الحروب على مبادئ السلم كما يزعم . فانه يسمح بشنق ضباط العساكر لاجل امتثالهم أوامر قوادهم وينزلهم منزلة اصحاب الجنايات الذين يرتكبون القتل وقت السلم فالآن اذا كان مستر غلادسطن لايعطينا ضمانة صريحة يركن اليها اعضاء البرلمان ويتعهد لنا بان يشكل لجنة من أهل الثقة للفحص فى كل ما يتعلق بالمسائل المصرية فنحن لانثق بمواعيده الفارغة لأن مندوبى وزارته المقيمين بمصر يهمهم ان يكتموا الحق كما يهم جميع المجرمين كتم جناياتهم .

ثم نهض مستر غلادسطن وحاول انكار ماقاله فى حق مستر اودونل متعللا بأن ما قاله فى خطبة ١٠ اغسطس لم يعن به عرابى باشا بل الحزب العسكرى .

فقام عليه مستر اودونل وتلا عبارة غلادسطن من نص خطبته واثبت عليه انه نسب لعرابى وقتئذ ماينسبه الآن الى سليمان سامى .

ثم نهض المستر لابوشير وقال ما معناه : ـ ان الأدلة التى فى يدنا الآن تدل بادئ بدء على أن الخديو محمد توفيق كان علة المذبحة فى ١١ يونيو . ولا يخفى على كل ذى بصيرة قول المثل السائر ـ إن أردت الوقوف على أصل جريمة اطلبه عند من انتفع بها ففى الظروف الحاضرة ما انتفع أحد بمذبحة اسكندرية غير محمد توفيق . ولا ريب ان عرابى ما كان يوافق لصالحه ان يسبب مذبحة تعجل تداخل اوروبا فى مصر . ولمن المعلوم ايضا لولا تداخل وزارة غلادسطن فى مصر لكان اليوم عرابى صاحب وادى النيل . أما الخديو الذى كان يرغب فى أن يقوى شوكته على عرابى بواسطة وزارة غلادستون كان جلّ اهتمامه قائما فى تسويد وجه عرابى والحزب الأهلى فى عيون اوربا وخاصة فى

عيون الانكليز وقد اعترفت الآن وزارة غلادسطن بأن ما قاله السير شارلس ديلك فى ذم عرابى .

فى ٢٥ جون[1] سنه ١٨٨٢ كان محض بهتان وضلال . وكما ضل مستر غلادسطن ووزراؤه فى ذم عرابى يومئذ لايبعد عن العقل انهم يضلون اليوم فى مدح محمد توفيق .

ثم قام مستر كوين وقال . لقد ادعت وزارة مستر غلادسطن بان لاحق لها فى التداخل فى مسألة سليمان سامى . فأى تداخل أعظم من تداخلها فى هذه المسألة . فان مستر غلادسطن سمح لمأمور انكليزى ان يحضر ويراقب محاكمة سليمان سامى بالنيابة عن الوزارة الغلادسطونية . فاذا كان ليس له حق فى التداخل لماذا أقام نائبا عنه فى مسألة عاقبتها إما موت وإما حياة . وبمجرد اقامته نائبا عنه فى تلك المسئلة أخذ على نفسه ونفس وزرائه مسئولية حياة سليمان سامى وموته . ومع علمه بهذه المسئولية سمح للحكومة المصرية أن تشنق ضابطا بدون اجراء الانصاف فى محاكمته . وفى رأيى أن تساهل الوزارة الغلادسطونيه فى قتل سليمان داود كان من الأمور التى تهمها لستر قبائح سياستها . فان الخديو محمد توفيق رجل ضعيف العقل والجسم فلو تساهلت وزارة غلادسطن فى قيام فحص تام فى دعوى سليمان داود لظهر منها أن الخديو اضطر الى الرضاء باجراء مذبحة بمشورة الذين كانوا يرشدونه من الاجانب (السير مالت القنصل الجنرال والمستر كوكسن فى اسكندرية) وغيرهم . وقد قال قبلى اللورد شرشهيل ان السير مالت مندوب وزارة غلادسطن بمصر كان خليلا حميما لتوفيق وموضع اسراره ومسند ثقته . وما من احد ينكر بعضا من مندوبى دولتنا قد تجاسروا مرارا على غش حكومتنا كما غش مستر غلادسطن والسير شارلس ديلك فى امر عرابى باشا ووصفاه للأمة الانكليزية بأوصاف قبيحة لاوجود لها سوى فى مخ الذين كانوا يوافقهم وقتئذ أن يصفوه بها ليغشوا الامة ويغشوا ايضا اعضاء هذا البرلمان .

ثم قام المستر كورست وقال . ان السير شالس ديلك[2] لايستحى من أن ينكر الآن ما اثبته بصريح العبارة فى خطابه الذى القاه فى هذا البرلمان بتاريخ ٢٥ يوليو (تموز

---

(١) يقصد يونيو .

(٢) تشارلز ديلك .

١٨٨٢) حيث قال ـ لاريب ان ذلك القائد العاصى مشترك فى مذبحة النصارى باسكندرية ـ وقال بقوله مستر غلادسطن فى خطاب القاه فى هذا البرلمان بتاريخ ١٦ أغسطس عام ١٨٨٢ حيث قال ـ هل فيكم من يقول لى ان مذبحة اسكندرية لم تكن مسببه عن رجل منتحل لنفسه زمام الاحكام أعنى به عرابى باشا فكما وافق مستر غلادسطن وشركاؤه وقتئذ ان يتهموا عرابى باشا ويطعنوا فى أحزابه لتنفيذ اغراضهم السياسية هكذا يوافقهم اليوم ان ينكروا بقحة ما قالوه علنا . ولكن دعنا نسأل مستر غلادسطن هذا السؤال . انك تقول يا كبير الوزراء أن عرابى كان بريئا من مذبحة اسكندرية . ثم تقول كذلك أن الخديو لم يكن له فيها يد . فقل لنا من كان السبب فى تلك المذبحة . هل اقمت انت ووزراؤك فحصا شافيا فى اصل تلك المذبحة الذريعة التى بنيتم عليها حجة افتتاح الحرب على مصر . كلا . فلقد آثرتم الخمول ولازمتهم الجهل الذميم لعلمكم بأن المسألة مشبوهة وعاقبتها وخيمة عليكم ولايوافقكم قيام الفحص فيها . فلو امعنتم النظر وبحثتم فى خبايا الزوايا لوجدتم أن الحكومة المدنية المنفصله عن الجهادية كانت هى نفسها علة المذبحة لأن الحاكم المدنى كان وقتئذ عمر لطفى الشركسى (هكذا) وكان يطمع فى الحصول على منصب نظارة الجهادية عوضا عن عرابى باشا . وكان قبل المذبحة بيوم فى القاهرة عند الخديو توفيق . وقد ضبطت بعض ادلة تثبت الشبهة على كليهما .

صورة التلغراف

الذى أرسله اللورد شرشهيل[١] وبعض اعضاء دار الندوة الى مستر بيمن المحامى عن السيد قنديل فى ٢٩ يونيه سنه ١٨٨٣ وهذا نصه :ـ

« لقد سر عموم الناس بجراءتك فى المحاماة عن السيد بك قنديل»

«فاثبت فى جراءتك ولح بلا خوف على استنطاق واستجواب عمر لطفى»

« وقد صمم مستر غلادستون على قيام البحث هنا فى اشتراك الخديو»

«محمد توفيق فى مذبحة ١١ يونيو سنه ١٨٨٢» حرر بلندن فى تاريخه

---

(١) يقصد اللورد راندولف تشرشل .

(قيام الشكوى على الخديو توفيق باشا)

نشرت جريدة التيمس بتاريخ ٣ جولاى تموز[1] سنه ١٨٨٣ ماترجمته : ارسل اللورد رندلف شرشهيل نهار السبت ٣٠ يونيو الى مستر غلادسطن القراطيس التى فيها تفصيل الشكوى على الخديو محمد توفيق باشا . وهذه القراطيس لعلمى خمسة اصناف . الأول مضمونه شرح الشكوى بوجه عام . والثانى يحتوى على الادلة التى تقوى الشكوى وهى مقتطفة من الكتاب الازرق عدد ١٦ وعدد ١٧ لعام ١٨٨٢ ومن الكتاب الازرق عدد ٤ لعام ١٨٨٣ . والثالث يحتوى على مسألة منع عرابى باشا من اقامة البحث فى أسباب المذبحة . والرابع يحتوى على سلوك القنصل الانكليزى الذى سعى فى تسليح الاجانب قبل المذبحة بأيام (مستر كوكسن) والخامسة يحتوى على أوصاف الخديو وأخلاقه وسلوكه قبل ضرب اسكندرية وبعده ثم يتلو هذه القراطيس أربعة تقارير من مسيو نينت السويسرى[2] ومن القس لويس الصابونجى[3] اسنادا للشكوى . ويتلو ذلك ايضا شهادات مقدمة على الخديو من أربعة رجال سكتت التيمس عن ذكر أسمائهم مؤقتا . ثم يشفع هذه كلها رسالتان الواحده من مستر ولفرد بلونت والاخرى من مستر برودلى (المحامى عنا) صرحا فيهما عن الطريق التى بها حصلا على الادلة التى فى يديهما على جناية الخديو .

---

(١) يقصد يوليو .

(٢) يقصد جون نينيه صديق العرابيين وصاحب كتاب عرابى باشا .

(٣) صاحب جريدة النحلة وصديق المستر بلنت .

الفصل الثالث

فى العودة الى مصر

وفى شهر فبراير سنة ١٩٠٠[١] صدر ترخيص لطلبة باشا بالعودة الى مصر بناء على قرار جمعية من الاطباء بأنه إذا لم يعد إلى بلاده لا يعيش أكثر من خمسة أشهر ، ووافق على ذلك حاكم سيلان السير ردجوى جوزيف ، فرجع إلى مصر ، ولكنه لم يعش أكثر من المدة التى قررها الأطباء فلبى دعوة ربه رحمه الله ، ودفن بقرافة الامام الشافعى - رضى الله عنه - وكذلك حدث لمحمود باشا سامى ارتشاح فى (القرنيتين) أفقده النظر ، وقرر مجلس الطب وجوب عودته إلى بلاده لمعالجته فى المناخ الذى ولد فيه ، ووافق على ذلك حاكم الجزيرة السير ردجوى جوزف ، فترخص له بأمر الخديو بالعودة الى مصر ، فرجع فى شهر سبتمبر سنة ١٩٠٠[٢] ونال رضى الحضرة الخديوية ، ومنح الحقوق المدنية ، وردت اليه أملاكه الموقوفة ، واستولى على ريعها المتجمد مدة نفيه من ديوان الأوقاف ، ولكن لم يعد إليه بصره الى أن مات رحمه الله وضم إلى عظام أهله .

وفى شهر أكتوبر سنة ١٩٠٠ توفى يعقوب سامى إلى رحمة ربه ودفن بجوار قبر محمود باشا فهمى بقرافة (منيرة كندى) بمدينة كندى . ولما نعيته إلى حاكم سيلان كتب كتاب تعزية إلى زوجته وابنته ، وذكر فيه أنه صدر له الأمر بالعودة إلى وطنه المحبوب وكان يود أن يبشره بذلك . ولكن المقدر لم يسمح له بأن يرى بلاده وبعد سداد ديونه من مرتبه الذى كان يصرف لامرأته ، أرسلت وابنتها الى مصر على حساب الحكومة المصرية فى الدرجة الأولى ، وأرسلنا ولدنا السيد على عرابى معهما لحفظهما ورعايتهما فى مدة السفر ، وأوصلهما إلى عائلتهما بمصر بكل صيانة وكرامة .

وفى ١٢ مايو سنة ١٩٠١[٣] زار مدينة كندى ركاب ولى عهد الحكومة الانكليزية فجال فيها وكانت المدينة مزدانة بأحسن زينة

---

(١) الحقيقة أن طلبه عصمت غادر سيلان فى نوفمبر ١٨٩٩ .

Broadley: The Trial Exile, VoL III No 640.

(٢) الحقيقة أن ذلك كان فى عام ١٨٩٩ وليس فى عام١٩٠٠ كما ذكر عرابى .

Broadley: OP. Cit No 640.

(٣) صحتها ١٣ ابريل ١٩٠١ انظر Broadley: OP. Cit No 640.

وفى ١٤ منه قابلت سموه ، فلقيت منه كرما وحلما وكمالا وآنست رقة ولطفا فجلست فى حضرته نحو ربع ساعة ، وسألنى فيها عن صحتى وحالتى فعرضت على سموه انى أعتبر تشريفه للجزيرة فكاكا لنا من الأسر فوعدنى بأنه سيسعى لدى الخديو فى تحقيق ذلك ثم جرت المخابرة بين سموه وبين الحكومة الانجليزية والحكومة المصرية فى هذا الشأن .

وفى ٢٤ من الشهر المذكور جاءنا تلغراف من حاكم الجزيرة يقول فيه انه قادم الى كندى ليبشرنا شخصيا بصدور أمر الخديو بالعفو عنا وعودتنا إلى وطننا العزيز[١] وبحضوره توجهنا اليه وشكرناه على لطفه ، وعرضنا عليه أن لنا الحق فى السفر على حساب الحكومة التى حملتنا الى تلك الجزيرة فأخذ بيانا بالأنفس التى معنا ، وتخابر مع الحكومة الانكليزية والمصرية فى شأن ذلك ، فصدر الأمر بسفرنا على حساب الحكومة المصرية فاستعددنا لذلك وشرعنا فى تسديد ما علينا من الديون شيئا فشيئا ، حتى أبرأنا ذمتنا وطرحنا عن كاهلنا حملا ثقيلا

وفى شهر أغسطس سنة ١٩٠١ بارح على فهمى باشا جزيرة سيلان ودخل القاهرة فى أول سبتمبر من السنة المذكورة .

وفى ٤ سبتمبر بارحنا مدينة كندى[٢] صباحا ، وكان صالون الحاكم معدا لنا فأقلنا القطار الى كولمبو . أما احتفال أهل كندى بوداعنا فقد كان عظيما حتى غصت أرصفة المحطة بالمودعين ، وفى مقدمتهم محمد افندى يوسف والدكتور كيت طبيب عائلتنا وابراهيم لبى وغيرهم ، ولما وصلنا ثغر كولمبو نزلنا فى بيت صديقنا المحترم كرمجى جعفرجى الكائن فى (بمبلابتيا) وأقمنا به ١٤ يوما فى انتظار السفينة المسماة (البرنس هنرى) الالمانية الآتية من الصين . وفى تلك المدة دعينا لتوزيع المكافأة على الناجحين من تلاميذ مدرسة (ميردانة) الأسلامية التى صار افتتاحها بحضورنا على نفقة المسلمين تحت رئاسة المحترم وبش ماركار وولده المحترم عبدالرحمن افندى العضو العامل فى

---

(١) أصدر الخديوى عباس الثانى أمرا بالسماح لأحمد عرابى وعلى فهمى بالعودة إلى القطر المصرى والاقامه فيه وقد صدر هذا الأمر فى مايو ١٩٠١ انظر محفوظات مجلس الوزراء ، الثورة العرابية .

(٢) أقام عرابى فى منفاه ثمانية عشر عاما ١٨٨٣ ـ ١٩٠١ قضى تسع سنوات منها فى كولومبو وتسعا أخرى فى كندى .

مجلس الحكومة عن طائفة المسلمين ، وكذلك زرنا المدرسة الحميدية لتوديع أساتذتها وطالبيها وكان الاحتفال فيها شائقا جدا ثم زرنا بيوت أعيان الثغر ونبهائه كبيت المحترم شنى لبى وأخيه محمد لبى وبيت محمود شنى لبى وزين الدين افندى وعبد الرحمن افندى العضو المذكور وبيت المحترم كريمجى جعفرجى وأخوته المحترم آدم على ابن أخيه ، وبيت حضرة الوزير الكبير ابراهيم ديدى كبير وزراء سلطنة ملديف .

وفى أصيل ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠١ الموافق ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ دخلت السفينة (البرنس هنرى) ميناء كولمبو وتغطى وجه الماء بالزوارق والرفاصات وتكدست جموع المودعين تكدسا هائلا حتى لم نتمكن من الوصول إلى السفينة إلا بشق النفس وهناك تليت علينا قصائد التوديع من نخبة أهل سيلان ثم سلمت إلينا فى محافظ من الفضة الخالصة البديعة الصنع .

وفى الساعة الواحدة بعد الغروب نزل المودعين وهم يبكون للفراق ، وتفرقوا جماعات ووحدانا وقد أمطرت السماء مدرارا كأنما تفتحت ينابيعها فتزل السيل كأنه من أفواه القرب والطيور محلقة فى الجو فوق الميناء أسرابا كأنها أتت لتوديعنا أو لمشاهدة ذلك الاحتفال .

ولما استقر بنا المقام فى السفينة بعد مغادرة تلك الجموع المكتظة بها ، أقلعت بعد ساعتين (باسم اللّه مجريها ومرساها) تمخر فى عرض المحيط الهندى لأول مرة وقبلتها كنانة اللّه العزيز الحكيم . وكانت حمولتها ١٢٠٠٠ طنا وسرعة سيرها بنسبة ١٦ عقدة فى الساعة وهى مستوفية لأسباب الراحة وكانت الريح هادئة وما هو إلا القليل حتى غابت شواطئ الجزيرة عن العيون وقصر مدى الابصار عن إدراكها ، فلم نعد نرى غير مسبح الفلك ، ومسرح الحوت ، فبتنا تلك الليلة ولم يطعم الكرى أجفاننا ولم يجد الوسن إليها سبيلا فرحين بقرب رؤية الوطن العزيز ، حتى خلنا أن السفينة قد عطلت عن سيرها مع أنها تكاد تطير لشدة سرعتها ، ووددنا لو أن لنا أجنحة فنطير ، وهكذا أخذنا نردد طول تلك الليلة قول القائل :

رياح الفلا هلا تكونين مركبى

فان بخار القطر ليس بمسعف

ولما كان الصباح قمنا مبكرين وأشرفنا على منظر يأخذ بمجامع القلوب ويستهوى النفوس ، فقد رأينا الشمس بارزة من خدرها ، وقد أماطت عن وجهها قناع الظلمة كالحسناء التى نزعت خمارها الاسود ابتغاء مرضاة عشيقها الذى ما فتىء يسألها السفور وقد أتعبه النظر إلى الدياجير والحنادس . وقد أرسلت الشمس أشعتها الأرجوانية على أديم الماء ، فأخذ يلمع كالذهب الوهاج . وأينما ألقيت بصرى رأيت سبيكة من النضار لا تستبين آخرها العيون والأبصار

على هذا النمط مرت الأيام والليالى حتى اجتزنا خليج عدن والسفينة تتهادى فى مياه البحر الأحمر كأنها العروس ليلة زفافها تميل ذات اليمين وذات الشمال معجبة بدلالها وعظمتها . وبعد أن قطعت نحو ثلاثة آلاف ومائتى ميل رست فى ميناء السويس . وذلك فى غروب يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠١ الموافق ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ فبتنا تلك الليلة فى السفينة وفى الصباح ودعنا من فيها وخرجنا إلى البر ، ونحن نتنفس الصعداء ونلهج بأنواع الدعاء للّه سبحانه وتعالى لوصولنا إلى بلادنا سالمين بعد مرور ١٩ عاما ذقنا فيها وتحملنا مكرهين ألم الفراق .

وهناك نزلنا فى بيت الشيخ النجارى بعد أن كتبنا الى محافظ المدينة مصطفى بك ماهر الذى كان من تلاميذ السيد عبد اللّه نديم وكان معروفا بحب الحرية والوطنية ، فأنكرنا وأعرض عنا ولم يتنازل إلى الرد علينا . فبعثنا بتلغراف إلى قائمقام الحضرة الخديوية وكان فخرى باشا ، فكتب إلى مصلحة السكة الحديدية بتخصيص صالون لنزولنا وعائلتنا ومن معنا من السويس الى القاهرة على حساب الحكومة[١] وكان عدد عائلتى وحاشيتى ٢١ نفسا

وفى ١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ الموافق أول أكتوبر سنة ١٩٠١ برحنا السويس ووصلنا إلى القاهرة قبيل الغروب . وقد كان ازدحام الناس لتوديعنا فى محطة السويس عظيما ، وكذلك كان استقبالنا فى الزقازيق وبنها وخصوصا فى القاهرة ، فان اجتماع الناس بلغ حده الأقصى بالرغم من تنبيه المحافظ الشديد بعدم التجمهر والاحتفاء

---

(١) طلب قائمقام الخديوى بالاسكندرية من مدير السكة الحديد بالقاهرة بنقل عرابى وعائلته من السويس إلى القاهرة على حساب الحكومة بالدرجات التى كانوا بها بوابور البحر .

انظر محفوظات مجلس الوزراء ـ الثورة العرابية ـ محفظة ٣٨ مجموعة ٤٧ حربية

ولما نزلنا فى محطة القاهرة اخذنا المركبات إلى منزل أولادى بشارع الملك الناصر فى شارع خيرت واجتمعنا بهم بعد غيابى تسعة عشر عاما وأربعة أشهر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وفى أول أكتوبر أيضا قدم الجناب الخديو من مصيفه فى أوربا الى ثغر الاسكندرية فاستبشرنا بذلك وعددنا تلك المصادفة فألاحسنا وحررنا تلغرافا الى رئيس الديوان الخديو نشكر فيه الحضرة الخديوية على منحها ايانا نعمة العودة الى وطننا العزيز ونطلب الترخيص لنا فى الذهاب الى الاسكندرية للتشرف بمقابلة الخديو المعظم وتأدية واجب الشكر لجنابه الكريم بنفسى . ولكن من الأسف العظيم لم يحز هذا الطلب قبولا ولم يتنازل رئيس الديوان بالرد علينا .

وقياما الواجب زرنا رئيس مجلس النظار مصطفى باشا فهمى وناظر الخارجية بطرس باشا غالى وناظر المالية أحمد باشا مظلوم وناظر الحقانية ابراهيم باشا فؤاد وناظر الاشغال والمعارف حسين باشا فخرى فى بيوتهم وناظر الجهادية عبانى باشا فى ديوان الجهادية . ووكيل المالية المستر ميشل ومستشار المالية السير غورست ثم اللورد كرومر فى الوكالة الانكليزية .

لم يرق فى نظر خصومنا الجهلاء رجوعنا الى وطننا العزيز لظنهم أننا بعنا وطننا الى الانكليز على اتفاق بيننا وبينهم فأوعزوا إلى الجرائد المأجورة وفى مقدمتهم جريدة اللواء فوجهت الينا سهام جهلها واماطت عنها لثام الوطنية[1] وغمطت تأدية واجباتنا فى الدفاع عن الوطن كاننا لم نقم بتحرير البلاد من ربقة الاستعباد ولم نخاطر بحياتنا وأملاكنا فى سبيل نيل الحرية والمساواة . فتجرد لها أحد الأحرار وكتب ردا عليها كما يأتى :ـ

(١) من المؤلم أن تقف جريدة اللواء وعلى رأسها مصطفى كامل هذا الموقف من عرابى بعد عودته من عذاب المنفى ، وتحاول أن تلف مشنقة المسئولية وحدها حول عنقه .

الفصل الرابع
(فى الرد على الجرائد المأجوره)
(من شرقى غيور على الحق والحق يقال[1])
(شقشقت الاقلام ومشدقة أغبياء الافهام)

من يقرأ هذا العنوان يعلم ويفهم من أول استهلاله أن سبب تحريره هو ماحدث من الشقشقة والمشدقة والزندقة فى تحرير مقالات المتطفلين من أصحاب الجرائد العربية المصرية المختلفين ولايزالون مختلفين المشارب فى مضامين هذا العنوان ـ وذلك لعودة ـ سعادة السيد أحمد عرابى باشا إلى هذه الديار المصرية . الذى سبق لمثل هؤلاء المتشدقين وأكبر منهم سنابل وأعظم وأهم منهم مقاما انهم كانوا يتمنون تقبيل الأرض التى كان عرابى باشا يطؤها بنعاله وذلك لمشدة تملقهم فى ذاك التاريخ الذى قام فيه يطالب بحقوقه وحقوق اخوانه المتأخرة من الماهيات والمقامات ـ ثم نهضته يدافع عن روحه وأرواح رفقائه الذين حجز عليهم معه فى غرفة بقصر النيل بايعاز أقوام كانوا سببا لاثارة تلك الفتنة الشنعاء . ثم نفرته الوطنية التى كان نصيبه منها خطأ فهمه وظنه الذى أحسنهما فى أولئك الأوباش الذين كانوا سبب خذلانه وعدم نجاحه . أما قولى تحرير مقالات المتطفلين الخ . فمقصودى من هذه الجملة أن الذين بأيديهم القوة الحاكمة على مصر الآن وأميرها العباس ومن تحتهم من الأمراء والرؤساء والأعيان لم يكلفوا أولئك المتمشدقون بدلع السنتهم ضد سعادة عرابى باشا ولم يستأذنوا أولئك الزنادقة أحدا من أولئك الأمراء والرؤساء والأعيان فى جر أقلام المشدقة حتى يقال أن هؤلاء نواب عن هؤلاء ولا عن أقل قليل من أعداد هذه الأمة المصرية . وما فى الأمر إلا الوقاحة والقباحة والسفاهة والبذالة من أولئك المتمشدقين ـ أنا أفرض أن أولئك المارقين عن الانسانية والوطنية لسان واحد فى المشدقة والبذالة ـ وإنى أوجه سهام الأقلام الصائبة لرتق فتق تلك الالسن البذلة والوجوه السمجه وأقول أيها اللسان البذل والانسان السمج ما فائدتك

---

(١) هذا الرد يصل الى حد الهجاء السوقى .

فى دلع لسانك ضد عرابى باشا وما وظيفتك المضارعة لوظيفة «روشان» أعنى المداح الذى إن أعطى مدح وإن لا ذم (لغة حميريه) ومن أنت من فرسان النزال . ومن أنابك لهذا الابتذال من الأمة المصرية التعيسة التى لا تجد لها ناصرا سوى بذالتك ومشدقتك الفارغة العارية عن الفائدة صف لى كم رأيت أو سمعت من رايه قبل راية عرابى باشا هزمت وكم عساكر وذخاير دولية كسرت وكم وكم أما تتذكر دولتلو عثمان باشا الغازى وتسليمه سيفه فى حرب الروسيه وخروجه من استحكام (بلونه) لعدم الرجال الصادقين[١] أما تتذكر عودة دولتلو حسن باشا من حرب الحبشه بعد هلاك العساكر والذخاير بخفى حنين[٢] اما تتذكر حرب الأمير السيد عبد القادر الجزايرى مع الفرنسيس ١٤ سنة وآل أمره الى التسليم[٣] لعدم الرجال الصادقين . أما تتذكر حرب نابليون وأخذه أسيرا فى آخر أمره[٤] . أما تتذكر واقعة وادى حنين[٥] التى الأزل الله فى شأنها قرآنا حيث قال (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) . أما تتذكر . أما تتذكر

ذكرت فى بذالتك أن عرابى باشا كان سببا لتعاسة مصر باحتلال دولة بريطانية ربوعها اليانعة ـ وأنا أقول ان هذه البذالة أدل دليل على جهلك وسفهك وانك لم تقف على حقائق دقايق تلك النهضة الشريفة وانك كنت ملفوفا فى فماطك تبول كما تبول اليوم فى اوراكك[٦] ولم تدر ما كانت عليه مصر من التعاسة وما آل امرها اليه بحكومة

(١) من المعروف أن وصية بطرس الأكبر كانت تقضى بتمزيق اوصال تركيا لذلك جعلت روسيا محور سياستها الانقضاض على الجيش التركى وانزال الهزائم به ومن تلك الهزائم هزيمة الغازى عثمان باشا وتسليم سيفه بعد دفاعه المجيد عن بلفنا .

(٢) يقصد حسن باشا ابن الخديو اسماعيل الذى هزمت قواته فى حرب الحبشة عام ١٨٧٦ شر هزيمة .

(٣) استسلم الأمير عبد القادر الجزائرى للفرنسيين فى الثامن يوليو ١٨٤٧ ونفى إلى دمشق هو وأسرته بعد أن امضى خمسة عشر عاما فى الجهاد ضد الفرنسيين

عبد المنعم الجميعى : دراسات فى تاريخ العالم العربى الحديث والمعاصر ص١٩٧ .

(٤) يقصد هزيمة نابليون وانتهاء أمره بالنفى فى جزيرة سنت هيلانه .

(٥) بعد ان تم فتح مكة ثارت قبيلة بنى هوزان ، وعزمت على مقاومة المسلمين ، وفى وادى حنين وقعت مقدمة المسلمين فى كمين فى أحد المضايق .

(٦) هذا السباب السوقى والهجاء المقزع لايشرف كاتبه ، وفى ظننا أنه لو أتيح لعرابى مراجعه هذا الكلام لكان قد غير رأيه فيه وحذفه من مخطوطه حفاظا على احترام القارئ له .

دولة عزيزها العباس الثانى المؤيد بالله وبالسبع المثانى من الحرية والرفاهة والعمارية . وانى افهم جهلك المركب وأبين لغباوتك ما كانت عليه مصر قبل تلك النهضة العرابية وقبل حكومة عزيزها العباس .

خذ منى هذه الحقايق ليزول عن غشاوة بصرك وبصيرتك الالتباس ، كانت مالية مصر فقيرة مدقعة يكاد ينادى عليها بالإفلاس .

وكان الاهالى كذلك . كان الغشم فى ترتيب نظامات الحكومة شأنها كان الظلم من حيث السخرة والاستبداد سائدا ، كانت حقوق القوة العسكرية مهضومة مشمولة بالغايات . ولا ملك الا بالجند . كانت دائرة الكرباج على اكتاف كثيرين من أمثالك وآه آه دايرة . واذكر لغباونك أمرا واحدا به حياة مصر فى كل آن الا وهو نيلها المبارك كان عند فيضانه وغزارته لايصل إلى أرض الفقير المسكين كف من الماء إلا من بعد أن يستوفى البرنس فلان والبرنسيسة فلانه والذات فلان والخ .

واذا عددت لغباوتك كان وكان انعكس كيانك ورجعت الى التسليم والى تقبيل بنان بل اقدام سعادة عرابى باشا وشكرت على ذلك حكومة الأمير العباس إذا علمت الذى كر . ومر من تلك الاستبدادات والمظالم عرابى باشا اخطأ فهمه وظنه فيمن كان يثق بهم من المصريين عديمين الحمية امثالك وقام فى ذاك التاريخ يدعو الأمة إلى الجامعة . إلى الاتحاد إلى تقوية الرابطة الوطنية . فكان من أمثالك بل واعظم منك مقاما الوف مؤلفة يقفون على أعتابه ويلبون دعوته . فقام بأعباء تلك الرغبات التى منها تحريركم من ربقة الظلم والاستبداد . وطلب للأمة المصرية الطلبات المناسبة لكل أمة ـ ومن أول تلك النهضة إلى الدقيقة التى اتحد فيها الوزراء مع الوالى على نبذ عرابى باشا حسدا وغيره منهم . لإجابة السواد الأعظم طلباته وتعضيده . وغشابينا منهم للوالى وللوطن حيث أشاروا على الوالى بترك مركز الاريكة الخديوية بالعاصمة والتوجه إلى اسكندرية مع علمهم أن تلك الدقيقة ليست حالة سلم . وأن الأعين مفتحة مستيقظة إلى أن بدأت مظاهر الفتنة بذاك الانزواء الذى وقع منهم عن عرابى باشا .

نالت الآمة حريتها وتشكل مجلس نوابها بفضل تلك المساعى الشريفة ولم يسفك فى أرض مصر قطرة دم ولا ضاع لاجنبى ولا لوطنى درهم ولا دينار قبل غارات فتنة الاسكندرية التى تحقق ان عرابى باشا لم يكن له فيها شأن . حتى غلبت الأقضية الآلهية المتحتم نفاذها فكان ما كان من أمر الحرب الى يوم تحيز عرابى باشا بجواره الى فئة من العلماء والامراء والأعيان والعدد الأكثر من المصريين املا فى أن يشدوا أزره وتصميما على الدفاع فكانت آراؤهم تثنية الخذلان . فما كان تحيزه فرارا من الزحف المنهى عنه . وقد قال تعالى فيمن استثنى فى الآية الكريمة حيث قال ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة﴾[1] .

وقد خرج عرابى باشا من وعيد الآية ومن اللوم بتحيزه الى من ذكرنا وقد كان فى علم الله انفاذ قضائه تأديبا وعقوبة لمن استعمل الحسد وسعى بين الأمة بالفشل وقد نهى الله عن ذلك بقوله ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[2] .

هذا ولما تولى تحقيق تلك الحركات اقوام هم اضداد هذا الهمام وكان اجراؤه من غير سابقة تحليف الايمان المشروعة فى قانون كل أمة بأن يحكموا بالعدل ويتبعوا خطة الحق كان ما كان من صدور تلك الأحكام المتنوعة وعند تشكيل الحكومة الاحتلالية التوفيقية فى هذه الديار تفقدت داخلية عرابى باشا الذى خذله قومه فلم تعثر على خزينة مالية فى منزله ولا شىء مما كان تحت اشارته وامارته من تلك النفائس ولا ملك بيتا ولا أرضا ولا حمَّل البلاد دينا لأحد من الأجانب ولا حاز لنفسه شيئا مما خف حمله ليستعين به على آلام تلك السنة المشئومة . وقد كانت نفائس وانفاس مقبلة عليه إلى أن خاب الأمل فى كل الذوات المصريين بعد وقوفهم على اعتابه مقويين عزيمته فيا للبخت بل فيا للتعاسة . قل موتوا بغيظكم أيها المتشدقون فلا جواب لكم بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اهـ .

ومما نشره بعض المصريين الأحرار مجموعة معنونه بعنوان عرابى والشعراء .

---

(١) سورة الأنفال ١٦ .

(٢) « « ٤٦ .

(عرابى والشعراء)[١]

قال : هذه مجموعة تحتوى على رد قصائد الهجو التى وجهها بعض الشعراء نحو السيد أحمد عرابى باشا .

(عليكم انفسكم)

قامت جرائد البهتان وقعدت وهاجت وماجت واضطربت وصار أربابها يتخبطون كالذى يتخبطه الشيطان من المس ويتمشدقون بأحاديث عرابى وخاضوا فيه حتى خاضوا وباضوا وأين هم من عرابى شتان شتان فكأنه بهم يقول :

رامو مكانى وقد فاتهم   وما أدركوا غير لمح البصر
وقد نبحونى وما هجتهم   كما نبح الكلب ضوء القمر

اتبعوا الشهوات وجاءوا بالمفتريات وخبطوا خبط العشواء وباتوا كالنعجة العجفاء باتت بقفرة تميل مع الرياح ولا تهتدى للرواح أجهدوا قرائحهم الكاسدة وأبرزوا أفكارهم الفاسدة وما اهتدوا لذكر حقيقة ولا اظهار دقيقة فمثلهم كمثل النبت الذى لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى عرابى رجل تأسس على تقوى ورضوان من الله دفعته عواطفه الشريفة للمنادات برفع الظلم وهدم الجور وتشييد العدل وقد نفذت طلباته المحتلون وانقذت أباءكم من ظلم الظالمين وجور المفسدين ورفعت عنكم العمليات وخلصتكم من حزب العصا وصفع القفا وجعلت لكم مجالس وقوانين عادلة يستوى عندها الكبير والصغير والغنى والفقير والشريف والوضيع ولولا عرابى لكنتم فى العذاب مخلدين وكالبهائم مساقين .

عرابى مضى وترك لكم البلاد تسعة عشر عاما مارستم فيها الإحوال وقاسيتم فيها الأهوال وحنكتكم فيها التجارب وتعلمتم وصرتم من الناس العارفين وافاضل المجربين ومع ذلك ما أمكنكم تأتون بذرة من اصلاح البلاد وراحة العباد وما عملتم عملا تشكرون عليه ولا تذكرون به غير تقلبكم فى الأقوال والأفعال وعبادتكم الدرهم والدينار فعميت ابصاركم وضلت أفكاركم وغرتكم الأمانى وأفسدتم البلاد والعباد بأباطيلكم ولو استمر

---

(١) استقبل الشعراء واستقبلت الصحف عرابى بين مادح وقادح .

الحال على هذا المنوال ولم يخلق الله أناسا سواكم شرفاء الأنفس يخدمون الحقيقة ويبحثون عن الدقيقة ولا يخافون فى الله لومة لائم ولا يضحون مصالح العالم خدمة لمصالحهم الخصوصية وغايتهم الشخصية لنفد السداد وضاع الرشاد وحل عليكم غضب الله وفعل بكم كما فعل بالذين من قبلكم وجعل عاليها سافلها وأولها آخرها اللهم إنا نسألك ان لا تؤاخذنا لإعمال هؤلاء السفلة الذين يعيثون فى الأرض فسادا ويفرقون بين المرء وأخيه وأمه وأبيه وعشيرته التى تحميه .

أين أنتم من عرابى . عرابى أقام الدنيا وأقعدها فى أيام قلائل وجمع قلوب العالم بأسره وتبعه العالم والجاهل وصارت الأمة فى قبضته وطوع إرادته وما ذاك إلا لقوة عقله وسداد فكره وصائب رأيه وثبات عزمه وفصيح بيانه ونور جنانه فلا يليق بكم ان تبخسوا الرجل حقه وتحرموه أجره وتنكروه فضله . فلا غرابة إذا ارتكبتم هذه الآثام واتبعتم هواجس الأوهام . تلك أمم قد خلت من قبلكم كذبوا رسلهم وضللوا أحلامهم واعتدوا فى السبت وعبدوا العجل وجاءوا بالإفك على عائشة الصديقية وقال بعضهم لنبيه لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وهم ينظرون .

عرابى خدم البلاد وما ثبت عليه غش ولا خيانة ولا باعها للانكليز بقليل أو كثير . وأنتم خدمتم الاغراض وهتكتم الاعراض واغتنيتم بتمشدقكم بعد ما كنتم لا تذكرون فى العير ولا تملكون مقدار تفكير ، فالاعتدال الاعتدال والحق يقال .

(محاورة)

(بين محمد افندى حبيب المصرى وحضرة الفاضل السيد زهير اليمنى)

منذ يومين توجهت إلى بعض المحلات التجارية للتوصية على ما يلزمنى من الاصناف المزمع إرسالها لمحلى الآخر الموجود بأسيوط فوجدت مع الكومسيونجى رجلا جليلا تظهر على وجهه علامات الذكاء وبيده جريدة اللواء المؤرخة فى ٢ شوال سنة١٣١٩ ولما رأى صاحب المحل مشتغلا فى اشغال خاصة مع غيره أخذ قلما ودواة وصار يبيض فى أبيات شعرية فدنوت منه وحييته بالتحية فحيانى بأحسن منها وشرع يخاطبنى بألفاظ اشهى من الشهد فانجذبت اليه وبعد أخذ ورد فى مسائل التجارة انتقلنا الى موضوع آخر يهم كافة المصريين كما يظهر من هذه المحاورة .

زهير : هل قرأت جريدة اللواء ؟

حبيب : ربما قرأت منها عددين أو ثلاثة من يوم ظهورها .

زهير : ربما يكون العدد المحتوى على القصيدة التى تطعن فى السيد أحمد عرابى باشا[١] منها .

حبيب : سمعت به وتأسفت كثيرا لأنى أجهل الشعر حتى كنت انشىء قصيدة ضد الشاعر والكاتب .

زهير : انت عرابى ؟

حبيب : أنا لست عرابيا ولا . . . إلا مصريا ابن مصرى . والسيد أحمد عرابى هو انسان وليس ببلده حتى انسب اليه . وان كان رجلا جليلا خدم المصريين خدمة تخلد له فى بطون التواريخ ويستحق من أجلها كل شكر وأعظم ثناء وأوفر أجر .

زهير : كيف تقول هذا وأنا أرى بعضكم يذمه ويكرهه كرها يدل على فساد تربية أبناء هذه البلاد !!

حبيب : لا تقل أبناء هذه البلاد فإنك لو سبرت دماء المصريين عموما لوجدتها ممتزجة بحب هذا الرجل النادر المثال .

زهير : وماذا تقول فى الذين يكرهونه من المصريين ؟

حبيب : اذا فرض وكان ذلك صحيحا فيكون الكره تكليفيا لا طبيعيا .

زهير : وهل يوجد كره تكلفى ؟

حبيب : كيف لا يكون ذلك والكراهة قسيمة الحب فكما ان الحب يكون تكليفيا فى بعض الاحيان كذلك تكون الكراهة . يدل على ذلك ما سأذكره لك من حادثة عرفها كل مصرى .

---

(١) هاجمت اللواء أحمد عرابى هجوما لاذعا فاتهمه مصطفى كامل بالجبن وبأنه أدخل الاحتلال إلى مصر قاصدا متعمدا انظر اللواء العدد ٦٠٤ فى ٣ أكتوبر ١٩٠١ كما أطلق على ثورته «الفتنة العرابية واستمر مصطفى كامل فى مهاجمة عرابى حتى بعد أن صدر العفو عنه وعودته إلى مصر لدرجة أنه لم يترك نقيصه الا ونسبها إليه للتفاصيل انظر : أوراق مصطفى كامل ـ الخطب القاهرة ، مركز تاريخ مصر المعاصر ١٩٨٤ ص ٤١ ـ ٤٥ .

زهير : ما هى ؟

حبيب : لى ولد اسمه وهبه نهبته أيدى جماعة المرسلين المتبرتسين المنسوبين للأمريكان وسجنوه فى مدرستهم الموجودة باسيوط وحرمونى من النظر إليه حتى من صورته الفوتوغرافية مدة تنيف عن العشر سنوات بمقتضى حكم مجلسهم الملى الانجيلى وبعد تعب شديد ما وسعنى الا الالتجاء للسدة الفخيمة الخديوية العباسية وجناب اللورد كرومر اللذين بأمرهما صرح لى بأن أرى ابنى رغما عن كل مكابر وأخيرا توجهت إلى أسيوط ورأيت ابنى ومهجة قلبى . فبأى كيفية وجدته لقد وجدته نافرا منى حيث رفض كل ما قدمته اليه . فما تظن فى كراهة ابنى لى ؟

زهير : أراها كراهة تكليفية .

حبيب : وهل تظن ان الولد يستمر على كراهتى عندما يبلغ رشده ويميز بعقله الرابطة التى بينى وبينه ؟

زهير : اعتقد انه أدرك شدة ميلك ومحبتك إليه مال إليك بكلياته ميلا لا يقل عن ميلك إليه الآن .

حبيب : فكذلك الشراذم القليلة الذين يتكلفون كراهة عرابى عندما يبلغون رشدهم ويعرفون مقدار ما هم عليه من الحرية التى لم يتمتع بها آباؤهم ولا أجدادهم يدفعهم الشعور لاظهار أميالهم المكنونة ومحبتهم الشديدة التى سترتها بعض العوارض كما ستر قسيس البرتستانت الذى كان حاضرا حينما تقابلت مع ابني محبته الطبيعية التى ادركتها من خفقان قلبه حينما حضنته قليلا .

زهير : انت خففت الامى واذهبت حزنى وأرحت خاطرى بعدما حدثتنى نفسى بعدم طبع القصيدة التى وضعتها ردا على من ذم عرابى فى مطابع مصرية خوفا من تدنيسها لأنى كنت اعتبر المصريين لا يعرفون ما يضرهم مما ينفعهم كما هو ظاهر من وجود اناس منهم يكرهون الرجل ذما فاحشا مع انهم كانوا بالامس يمدحونه فلا شك ان اناس هذه حالتهم ينبغى ان اسرع بالهجرة من بلادهم قاصدا بلاد من البلاد الاسلامية التى تزيد عن بلادكم عددا ودينا وعلما وكرما بفضل عرابيكم المبغوض بينكم . عرابى الذى كل من يكرهه من المصريين فقد كره نفسه .

حبيب : ارجو ان يكون كلامى الأول ازال عنكم كل فكر ردىء ضد المصريين المشهورين بالنبل الكلى لكل من قصد خيرهم .

زهير : نعم ياسيدى . وانى اشكرك من صميم القلب على احساساتك فقد أنصفه خديويكم واحترمته الامة الانكليزية التى تشهد بفضله مع أنه حاربها وأجله التاريخ وكل المسلمين فى سائر المعمور وارجوكم عفوا لظن السوء فى أبناء بلادك .

حبيب : وهل انت عازم على طبع القصيدة خارجا عن الديار المصرية .

زهير : كنت كذلك ولاكنى[1] الآن اسلمك اياها مفوضا إليك أمر طبعها .

حبيب : استحسن ان تطبع فى مصر وتوزع فى مصر وترسل الى البلاد الخارجية ولا سيما اليمن بلادكم .

زهير : لا بأس من ذلك .

(وهذه هى القصيدة)

عكس ما طبع فى اللواء بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٩٠٢ عدد ٦٨٩ تحت عنوان .

(صوت العظام)

دع الجهال تختلق الملاما ... فهجوك سيدى هاج الأناما
وان تقذف الى كلب عظاما ... يزف اليك بالمدح الكلاما
لقد قلبوا لدينا الجد هزلا ... وضلوا ان يقولوا القول فصلا
ولكن رغم أنفهم سيتلى ... مديحك كى يذيقهم الحماما
عفى عنك الاله اليوم عفوا ... كان الحسين اباك دعوى
كما فاهوا بذا افكا ولغوا ... وما حفظوا لسيدهم مقاما
بلاد غيرك سيفك لم يصنها ... ولم يقلع اصول الظلم منها
وما نامت عيونك قط عنها ... وان غفل الورى عنها وناما
سفكت بها دماء خير سفك ... لا صلاح البلاد ورفع ملك
وصرت على الأهالى الدهر تبكى ... فانت اليوم اولاهم وساما
تقول لك العظام مقال صدق ... ورب مقالة من غير نطق

---

(١) يقصد ولكنى .

بذلت نفوسا لنوال حق ... وقد صنت الامانة والذماما
تقول لئن بقيت وما بقينا ... وقاومنا العدا حتى فنينا
وبددت المظالم عن بنينا ... فما متنا ولم نتركه يتآمى
نقول وصوتها فينا قوى ... وفى كل الصدور له دوى
لئن مات اللئام وانت حى ... فبئس زمانهم قد كان ذاما
نقول وصوتها فجع الدهورا ... واذهب عن بنى اللؤم الشعورا
أعرابى قد تركت لنا قبورا ... بها يهدى الاله لنا السلاما
نقول وصوتها اخترق السماء ... واسمع خير من يجب النداء
عرابى ما أباح لنا دماء ... ولكن من أباح الانتقاما
تقول هجمت حين الظلم ينمو ... وثرت غداة ثار بمصر ظلم
ولم يختل من السفاح حلم ... كختل اصوله عاما فعاما
وقفت له وقد تبع الأمير ... خلائق من بهم ذهب السرير
فخار الرأى وانعكست امور ... وذلك حينما تركوا النظاما
تقول وفى مقالتها اعتبار ... فلولا الخلف ما كان الفرار
قرار الملك العصيان عار ... يلازم من اشار به لزاما
شجاعة احمد فى كل شعب ... ترد لمن هجاه اى سب
وتذكر فضله فى كل حرب ... وترجف دون رؤيته الحساما
زعمتم أنه ولّى الفرار ... لينجو حين ان ركب القطارا
فصرتم فى جهالتكم حيارى ... ورغما عكموا نال المراما
جميع الناس ترغب ان تراه ... وتنشد كل مدح فى حماه
وانت اضعت عمرك فى سواه ... وذو الأغراض يرتكب الظلاما
رويدا عن سباب الناس مهلا ... فغيرك لم يكن للسب أهلا
حويت سفاهة وحويت جهلا ... ونلت بذلك الرتب العظاما
سل التاريخ لا تسأل عليا ... عن الظلم الذى يدوى دويا
ولم يترك لنا حصنا قويًا ... وقد ضحى الكرامة والكراما
يعز بنا ويقهر من يشاء ... الاه لا سواه له القضاء
عرابينا له منه العلاء ... دوام الدهر يبتسم ابتساما

كفى الله الحجاز عوان حرب   وانقذ أهله من كل كرب
وقبض من قديم خير حزب   ليحمى الدين والبيت الحراما
فلم يمهل بنيه حين شاروا   وطارت منهمو فى الجو نار
وكيف الدين ليس له قرار   وقد شاء الاله له دعاما
فكنتم خلف ابراهيم لما   علا بجنوده الابراج شما
وكبر يوم عصيان وسمى   وحارب اهل دينك والإماما
ففى تلك المواقف من يليه   يحارب دينه وكذا بنيه
ويخرج عن اطاعة قائديه   وينبذ من به الدين استقاما
فياليت الامير براحتيه   غداة يجمعكم ملتم اليه
اشاد بحب مولى بردتيه   ونال وانتموا منه السلاما
فكيف تقول احسنا البلاء   وهز المسلمون بنا اللواء
وقد ذهبت بوارجكم فداء   على الامواج تضطرم اضطراما
تقول على رجال الحرب صلنا   واعلى قمة فى الأرض طلنا
وقولك بعد ذلك ما نزلنا   يكذب كونكم للسئم هاما
متى أنتم ملكتم سود مصر   أأنتم لانكليز الناس ادرى
فمن انت اقداما واجرى   وفى الحانات تصطدم اصطداما
افى المسكوف شدتم ذكر مصر   غداة ذهبتموا قتلى واسرى
فمثلكموا عرابى اليوم عذرا   ولم يخن الإله ولا الإماما
فللسلطان فضل فى جريد   لدى الهيجاء والكرب الشديد
اذاب سلاحه كل الحديد   ولم يترك بها ابدا ضراما
فأين الملك والمهج الغوالى   واين ابن الجبان مع العوالى
من المولى الذى تخشى الليالى   بسالته فلم تيقظ نياما
ستحظى ياعرابى بالامانى   وتحمل من سيوفك خير قانى
وتحمى ذا الفقار مع اليمانى   وتستلم النياشين استلاما
لقد شرفت منه حديدتين   عذاة الأسد ان هجموا عليه
وقد دانت بك الدنيا اليه   وأورت غيرك العار الحساما

يحن لأن غيرك لم يصنه فسعه بعزمك المشهور سعه
وقوم ساعديه ولا تدعه حليف الغمد يأبى الاحتراما
ولا تعبأ بشقشقة الصغار ولا من يأت يلهو بالجوارى
وسلم دينه ليد الجوارى وانكر منك فى الهيجا قياما
فاولى الآن صدرك ان يحلى وان يسترجع الشرف الاجلا
فكم كان السلاح به محلى وكم لاقى المدافع والسهاما
فشكر الناس يسدى للخفير ولكن ضل اقوام الامير
وخاضوا فى مشاتمة الوزير ابى النفس من يدعى الهماما
عمى فى القلب منهم لا يزال فبر خديونا ابدا ينال
ويبلغ عفوه الاقصى رجال لهم فى الفضل قدر لا يسامى
فشقشقة الكلام اليوم دعها ستندم عاجلا ان لم تبعها
اضعت مراتب المولى فضعها فلم تصلح مراتبه الطغاما
تقول لك العظام وانت لاهى تمنى النفس من مال وجاه
وعمرك ما سجدت الى الاله واحمد خير من صلى وصاما
سيأخذ منك شعرك بالخناق اذا بلغت خبيثتك التراقى
وتلقى عند ذلك ما تلاقى عروض الناس والموت الذؤاما
اظنك يوم يحضرك الحمام تموت ولا كلام ولا حسام
وسهم الموت تتبعه سهام من الجبار لكن لا تراما
اظنك حين يأتيك المنون ويذهب عنك بالشعر الجنون
تقول علىّ للمولى ديون فخذ يا رب واحتكم احتكاما
ستعلم ان غيرك ما أساء وتلقى عن اساءتك الجزاء
فلا تفدى ولا تفدى دماء ولم تعرض له حشثا وهاما
نسبت إليه أمرا ماجناه وقصدك ان تنزل من علاه
فأنت ومن يعاديه فداه ومنك الله ينتقم انتقاما
لسانك فى جهنم سوف يحمى بافظع ما جنى جرما فجرما
ويسأل عن هجاء الناس ظلما وتخفض فى الجحيم ولا قياما

(تذييل للقصيدة)

فلومك لا يؤثر فى عرابى ... ولكن فى مليك للرقاب
لماذا قد عفى قبل المتاب ... وانت علام لم تعقل علاما
عفى والعفو من شيم الكرام ... وكان عن اقتدار فى الأنام
فجهل ان تندد بالملام ... الم تسقط من المولى احتراما
أريت الناس ان العفو منه كره ... ومولانا عفى بالرغم عنه
وكل قال هذا العفو كره ... ولم تحسن لدى المولى كلاما
صدور العفو عن كرم الأمير ... فلباه الكبير مع الصغير
بشكر جل عن شبه النظير ... وانت تبعت بالجهل الملاما
تعجل من ذنوبك بالمتاب ... وكف عن التقول فى عرابى
وابعاد الخديوى عن الصواب ... ولأنك آثما تبغى الخصاما
فعباس له كرم وحلم ... وافضال وآداب وعلم
ويبغض كل أفاك ينم ... ويأبى ان يرى شعرا حراما
فيحسن او يسىء لمن يشاء ... ويجرى عند كلمته القضاء
ولم ترشده قط الاغبياء ... ففكر سموه يمحو الظلاما
عليم ليس يسمع من جهول ... ولا يصغى لاقوال الفضول
وأن يعفو فلم يك بالبخيل ... بالقاب فيتبعها الوساما
فقصر ياجهول اليوم قصر ... فغير الصلح فينا لا يؤثر
ومجد حين ان يمنن وكبر ... وقل يارب لاحظنا دواما
نطقت بذا ومثلى لا يحابى ... إلى جهة الخديوى ولا عرابى
وانى للتفرق غير صابى ... ولا أبقى من الشعر اللماما
ارى الشعراء والادباء ضلوا ... ومالوا للتقاطع حيث حلوا
كأن لسانهم عضو أشل ... وقلبهم عن الحسنى نياما
واصحاب الجرائد قد تعامت ... وللخيال قد قعدت وقامت
وعما يصلح الاحوال نامت ... وأهل الفضل قد احتجوا نياما
وصار الكل يبحث عن رغيف ... ويشهد للقوى على الضعيف

ويصغى للسفيه وللسخيف ويسجد للمدامة والمداما
فكيف بذا يتم لنا صلاح وبالاعمال يقترن النجاح
اضعنا الدين فانقطع الفلاح وغير الدين لم يشدد حزاما
فنحن الآن اولى باتحاد لاصلاح القلوب من الفساد
من التفريق هذا والعناد فلم يجبر عنادكم العظاما
صرفنا العمر فى قيل وقال وقدمنا الحرام على الحلال
وغرتنا الامانى والليالى فهلا نسجم الدمع انسجاما
تغافلنا عن الأمر العظيم وخضنا فى مشاتمة الكريم
وشيدنا اللواء الى اللئيم فسخم وجه بلدتنا سخاما
فمن ذا اورت الوغد اللواء ففاخرنا واتبعنا العداء
وكان ابوه يلبسنا الحذاء ويسجد تحت رايتنا رغاما
الم يك زقزق يا ابن اللواء اباك وعاش فى اعنى عناء
وكان اذل من شيع الحذاء ولم يملك من الدنيا حطاما
ولكن انت ساعدك الزمان فبئس صنيعة وله الهوان
فمثلك لا يهن ولا يهان ولم يك بيننا الا تماما
وانى لو تبعت القول فيك لورمت اللهى وكتمت فيك
واظهرت المخبأ من ابيك ولاكن الاسافل لن تلاما
فمثلى لايخبط فى الملاما ولا ينحو القبيح من الكلام
ولم يعبأ بأولاد اللئام وان طفل اللوا بلغ الفطاما
وطبعى لا يميل مع الغنى إلى غرض من الدنيا دنئ
فلى عزم علىٌّ من علي وآبى ان اضيم وان اضاما
فعندى الناس كلهم سواء اذا ما منهمو ذهب الحياء
وما طبعى المديح ولا الهجاء ولاكن كان بينهما قواما
هلموا يا أفاضلنا هلموا لاصلاح الفساد ولا تصموا
وشدوا ازركم ابدا وضموا نفوسكم الى الخير انضماما
وهيا نمدح المولى امتداحا ونطلب منه بالعفو السماحا
هو العباس يولينا النجاحا وبالاخلاص نوليه السلاما

(عكس ما طبع فى جريدة اللواء المؤرخة فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠١ عدد ٦٠٠ تحت عنوان عرابى وما جنى[1])

اهلا وسهلا بحاميها ومحييها ... ومرحبا وسلاما باعرابيها
وبالكرامة يا من راح ينفعها ... وآب ينقذها من خزى مخزيها
وعدلها حين قام العدل يفنيها ... عن المدافع تدوى فى طوابيها
وارجع اليها فيا لله فاتحها ... يوم الاياب ويالله غازيها
وانزل على الطائر الميمون ساحتها ... ولا نسل عن صبية تنفق بواديها
واقرأ صحيح البخارى كل آونة ... واسهر على محو آى الجهل فى لياليها
وضع عمامتك الخضراء من شرف ... يعرفك كل خبير من أهاليها
وقص رؤياك مقطوع بصحتها ... عن النبيين وارحم كل مبكيها
فلست تعدم فكرا من اكابرها ... ولست تعدم رأيا من أعاليها
ولست تعدم نصرا من احبتها ... يزف للأمة البشرى ويهدينا
ولست تعدم بالاصلاح ذائقة ... يحصى ديوان الأولى عدا ويقضيها
قل للملك ادوارد اصبت علا ... على الهنود مع الدنيا ومن فيها
قد زار شبلك ارض الهند تكرمه ... الى عرابى غريب الدار منفيها
فنال منه عرابى خير امنية ... ونال منه اياد جلت اياديها
تلك الاراضى بلد عال ومنخفض ... لولاكمو لم يعم الخصب باليها
فاقرأ السلام عليها حين تذكرها ... ودع اناسا بهم قد كنت تبكيها
وناجها مرة ان كنت تنصفها ... فغاية القصد منها ان نناجيها
احييتها بعد ما ماتت عواطفها ... ياحبذا نية قد كنت تنويها
فكم رأت لك سيفا تستضىء به ... يوم القتال وكم وجها يحييها
باتت وعيناك للاصلاح ترقبها ... وبت تنظر كيف العدل باتيها
فاصبحت روضة عم الصفاء بها ... وبات فى مأمن كل براعيها

---

(١) هاجم أحمد شوقى عرابى فى هذه القصيدة التى نشرت فى جريدة اللواء واتهمه بالخيانة وحقر من شأنه .

يا بن الحسين فدتك الناس اجمعهم اظمأت مصر وجئت اليوم ترويها
تلك الأبوة والاعـداء شـاهدة بان فضلك معنى من معانيها
لم يظفر اليوم ذو بغى رماك به واوقد النار بالبهتان يزكيها
وقفت وقفة ابطال ذوى همم لتدفع الظلم عنها بل وتحميها
ابوه المصطفى ما زال يلبسها حر فشيب ثياب الفخر ضافيها
حتى تنازعها فى مصر سيدها مولى الفضائل بل حامى غوانيها
واصبحت لشجاع القوم منقبة وزينة لعليم القوم يبديها
هللا طفيل اللوا شالت نعامته وفى فرنسا منيته يلاقيها
هللا تكفن فى خزى بعودته صفر اليدين وما اجدت عواليها
ما زال ينحو فرنسا يستجير بها بئس الطوايا التى قد كان يطويها
هللا أبى من فرنسا العود ثانية لكى يقال ابى النفس عاليها
لا شك ان عرابى من أحبتها رغم اللواء واجنى من أهاليها
فهو الجدير بان يحظى بمدحتها حقا ويحمل حدا فى مراثيها

تمت

ردا لما جاء فى جريدة اللواء من ذم السيد أحمد عرابى باشا بقصيدة مطلعها :

صغار فى الذهاب وفى الأياب أهذا كل شأنك يا عرابى

(عكس الأصل)

نفاق فى الحضور وفى الغياب وهذا شأن أبناء الكلاب[1]
عفت افكار مثلك ياجهول ويعفو الله عن وطن مصاب
فاين بنوكموا كى يسألوهم واين هموا من القوم الغضاب
فعش فى مصر ذا جهل ولؤم ذليل النفس معتل الشباب
ففرق بين ابطال كرام وبين مخنث بخس الثياب
فدع عنك ارتكاب الاثم يوما وعجل بالندامة والمتاب

(١) فى رأينا انه لا داعى لنعت الاشخاص من بنى البشر ببعض اسماء الحيوانات كالكلاب .

فبعد اليوم لم تملك متابا ولم نسلم وربك من عقاب
فليس سواك فى حيث الطوايا وليس سواك فى الشيم الكذاب
(حكومة ذلة وسراة جهل) اذا لم يرجوك لدى الطواب
فجرد احمد البتار فيهم ونزالهم ركابا فى ركاب
وقد ملئت بك الدنيا سفاها وضاقت بالغباوة لا التغاب
بعدت طردت عهد نيل المعالى وصرت من الرعاع ذوى السباب
تخبط فى نوادى القوم جهلا وجهل المرء يظهر فى الخطاب
ستنظر بعد ذا بغضا وكرها وبعدا عن رفاق أو صحاب
وتنبذك البرية نبذ جهل فما تلقى سوى اوهى جناب
هموا حلفوا وبروا فى يمين وما برت يمينك بالكتاب
اذا وجب الحجاب على نساء فانك انت أولى بالحجاب
غدا مصر تسر ومخلصوها اذا ما قيل عاد لها عرابى

(عكس ثانى تهنئة بقدوم السيد عرابى باشا)

ايابك سيدى خير الاياب فاهلا مرحبا بك ياعرابى
عفوت عن الزمان اليوم عفوا ازال الداء عن وطن مصاب
ولم تسأل بنيك ولا نينا بما اصلحت فى القوم الغضاب
فعش فى مصر ذا عزم وحزم وفكر فوق افكار الشباب
ففرق بين من يحمى العوالى ومن يختال فى حر الثياب
ولكن ظن فيك السوء بعض وذاك البعض أولى بالمتاب
فبعد اليوم لم يملك متابا ولم يسلم وربك من عقاب
فليس سواك فى حسن الطوايا وليس سواه فى الشيم الكذاب
حكومة سؤدد وسراة علم تعهدك اذ تحييك الطوابى
واذ نازلت ابطالا شدادا تطاردهم ركابا فى ركاب
واذ ملئت المعالى باجتهاد تعامى عنه قوم بالتغابى
ونلت مهابة فى كل ناد على رغم المنافق ذى السباب

ستنظر ان رفعت بمصر طرفا كما نلت الفصاحة فى الخطاب
يصافحك الجميع بكل صدق ومنك يلوذ كل بالجناب
وبالانجيل يحلف بعض قوم وبعض بالزبور وبالكتاب
وان وجب الحجاب على نساء فبعض الناس أولى بالحجاب
غدا مصر تسر ومخلصوها اذا ما قيل عاد لها عرابى

(عكس القصيدة تهنئة بقدوم الحضرة الفخيمة الخديوية من أوروبا)

سعود فى الذهاب وفى الاياب وعز فى الحضور وفى الغياب
عفوت خديوينا عفو اقتدار عن الغرباء وعن وطن مصاب
فارضيت الانام بخير عفو به احسنت للقوم الغضاب
فعش ما شئت فى مصر عزيزا تهنئك السعادة بالشباب
ففرق بين من يهوى المعالى ومن يصبو الى حمر الثياب
اذا رضى الخديوى على اناس يعجل عفوه قبل المتاب
فان سواه لم يملك متابا ولم يدر الثواب من العقاب
ولم يك مثله حسن الطوايا ومبتعدا عن الشيم الكذاب
حكومة حكمة وسراة مجد تخر لها المدافع والطوابى
فبأس خديوينا بأس شديد وسعد سعوده طوع الركاب
وفكر سموه بدر منير غدا يمحو الغباوة والتغابى
بلغت من المعالى منتهاها وغيرك نال شقشقة السباب
واعطيت الأريكة عن جدود وملكك الفصاحة فى الخطاب
ستنظر جو مصر فى صفاء باصحاب هموا خير الصحاب
يحييك الجميع بخير قول وكل يحتمى بحمى الجناب
ويحلف بعضهم بكتاب موسى وآخر بالمسيح وبالكتاب
بدت شمس الخديو بأرض مصر فلاح السعد من تحت الحجاب
فلا زال الخديو عزيز مصر سعيدا فى الذهاب وفى الاياب

هذا ما استقبلنا به صاحب جريدة اللواء ومن على شاكلته من اصحاب الجرائد المأجورين والشعراء المنافقين[١] وهذا ما رد عليهم به بعض نبهاء المصريين واشراف اليمنيين فكان ذلك على عكس ما رأيناه من التجلة والاكرام فى أرض منفانا وهاك نموذجا من العناية الربانية .

---

(١) الواضح ان مصطفى كامل تطاول على عرابى نتيجة لتصريحاته التى لا تتفق مع مقام زعيم الثورة وتملقه لانجلترا بشكل لا يتفق مع دعوته . لدرجة انه اتهمه بالخيانة وبالاتفاق مع الانجليز على تسليمهم مصر وهو قول يجافى الحقيقة تماما .

الفصل الخامس
فى التحارير الملوكية
(خطاب ومراسلات)

صورة فرمان سلام من جلالة السلطان نور محمد سلطان مونيقو وما يليها من البلاد الصينية فى عام ١٣٠٠ هجرية ونحن بجزيرة سيلان بخط عربى مبين اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الذى أسعد وأشقى وأمات وأحيى واضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأعز أهل العدل والوفى وأذل ذا الفساد والبغى .

والصلاة والسلام على رسوله محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى والعز ودرجات العلى .

وبعد فان السلام والتحية من العبد الفقير الى الله الغنى الصمد عبده الفقير نور محمد سلطان مونيقو وما يليها . على السلطان الأسعد الأعظم الخاقان الأمجد الأكرم مالك الأمانة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى أكابر الاكابر . رافع رايات الدين الاظهر مبين آيات الله الانور ممرمغ أنوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بعون الله وجنده الغالب الهمام الذى شرق عزمه المنير فانتهى الى الشرق الأسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس أو أدنى بخميس من رموز عين العناية متزاحم الافواج وعسكر كخضم متلاطم الأمواج فأصبح ما بين افقى الطلوع والغروب وما بين قطبى الشمال والجنوب منتظما فى سلك ولاياته الواسعة ومندرجا تحت ظلال راياته الرابعة فاصبحت منابر الربع الملكوت متشرفة بذكر اسمه الميمون فيا له من ملك استوى بملكه البر البسيط واستغرق ملكه وجه البحر المحيط فكأنه فضاء غرض فيه خيامه او نصب عليه رايته واحلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الأمم . خاصم القياصرة وقاهر القروع سلطان مصر والعرب والعجوم . مالك المشرقين وخاقان الخاقين الامام المقتدر بالقدرة الربانية والخلافة . المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين المفخمين ناشر ظهور الدين .

المشتهر بالسيد أحمد باشا عرابى الحسينى الغازى فى سبيل الله هو فى المظلومات راحم . حفظه الله العزيز فى الكونين غفر الله له ولوالديه . انتهى حرفيا .

من المعلوم إنى لست بملك ولا سلطان ولكن هذا مبلغ علمه وحسن ظنه وفرط حبه لآل بيت رسول الله عليه وآله وسلم .

(صورة خطاب)

من جلالة الملك المنعم بالله خليفة رسول الله فى دائرة مملكة كده السلطان عبد الحميد حليم شاه ابن السلطان أحمد تاج الدين اكرم شاه (كل هذا العنوان منقوش على ختمه ذات الشكل المثمن)

(الحمد لله وحده)

عزتلو سيادتلو جناب العالى محبنا الخاص أحمد العرابى باشا الحسينى دام علاه بعد اهداء نور السلام بما يليق بالمقام . نبدى لسعادتكم اننا تشرفنا بما استصحب اخى عبد العزيز وهى صدرة الهاشمية فصار لنا غاية المسرة والممنونية حيث تشرفت الديار ببعض الأثر واسأل الله الكريم المتعال ان يجمعنا على اسر الحال . حيث انى أتشوق إلى زيارتكم بوصولى إلى سيلان وأسألكم الأدعية الخيرية ببلوغ القصد ان يكون قريب وان يديم محبتنا ما دام يصعد على المنبر خطيب . وواصلكم صحبة كتابى صورتى الفوتوغرافية وأرجو ان تكون هى ارتباط المحبة . فتفضلوا بقبولها ولا تروا علينا فى التقصير . وبلغوا سلامنا لأنجالكم الكرام . ودمتم فوق ما دمتم افندم .

حرر فى ١١ شوال سنة ١٢١٥م والسلام الختام . الختم .

ومكتوب على الظرف هكذا

غب وصوله بالخبر الى بلاد سيلان فيحظى ويتشرف بتقبيل رؤوس انامل السيد احمد العرابى باشا الحسينى المصرى اعزه الله آمين .

(وصل لنا هذا الخطاب الجليل من يد قونسل دولة سيام بافادة رقم ١٣ مارث سنة١٨٩٨)

(خطاب)

من سمو البرنس عبد العزيز شقيق جلالة السلطان عبد الحميد ملك حكومة كوه المذكوره ونصه حرفيا كما يأتى :

(الحمد لله عز شأنه)

بضعة السادة الاشراف المتصل بنسبه لابن عبد مناف سيادتلو افندم سيدى السيد أحمد العرابى باشا الحسينى لا زال بعون المعين معان .

وبعد ما نهدى ونقدم لجلالتكم جواهر التسليمات ومعادن التحيات نبدى لذاتكم البهية اننا تشرفنا بورود خطابكم الكريم الواجب له التعظيم المحرر فى ٢٥ الاصم فصار لنا غاية المسرة بدوام صحتكم فحمدنا البارى على ذلك وشكرناه على ما هنالك ولا تروا علينا فى تأخير جوابه حيث ان الملثم أناملكم قبل هذا حرر ونحن فى فلفلان (جزيرة سنغافورا) وبعده باقل الوتر صار توجهنا الى بلاد سيام وكان رجوعنا منها فى ١٥ من رمضان صار وصولنا (دار الامان) (عاصمة بلاده) فوجدنا كتابكم فتلوناه بالسرور . فلهذا صار تأخيرا فلا تروا علينا فى التقصير . ونفيدكم انه واصلكم كتاب من شقيقى مولانا السلطان عبد الحميد حليم شاه وبصحبته صورته الفوتوغرافية فارجوكم تستلموها تذكارا ولا تحرمونا من خاطركم ولا تقطعونا من كتبكم حسب ما هو المأمول .

وبلغوا سلامنا على فروعكم الشريفة المرضية ومن عندنا يقبل اياديكم ابن عمنا البرنس تنكو بهادر شاه . ودمتم فوق ما رمتم افندم والسلام الختام حرر فى احدى عشر شوال سنة ١٣١٥ هـ .

عبدالعزيز بن أحمد تاج الدين

(ومكتوب على ظرفه عبارات التعظيم التى على ظرف جلالة أخيه السلطان حرفيا)

(بيان وإيضاح)

ان مملكة كده هى مملكة عظيمة من بلاد الملايو الواسعة ومن أعمالها جزيرة سنغافورا جنة الهند بلا مبالغة ولكن الانكليز تغلبوا على تلك البلاد الخصبة الهادية فاستأثروا بها ولم يتركوا للعائلة الحاكمة فيها إلا العاصمة وهى (دار الامان) وما حولها

وحفظوا لحاكمها لقب السلطان فقط وعينوا له مستشارا ومراقبا انكليزيا حتى لا ينبس نبسة إلا باطلاعه واستحسانه وتعداد هذه البقية الباقية من مملكة كده الآن لا يتجاوز ٨٠٠ ألف من سكان العاصمة وضواحيها . فليعتبر بذلك أولو النهي .

(خطاب)

من المدرسة الحميدية بثغر كولمب بجزيرة سيلان تقدم لنا على ظهر السفينة البخارية عند الوداع مكتوب على ورق منقوش بالذهب على هامشه نقشا بديعا على لون فيروزى وبعد تلاوته وضع فى ملف من الحرير الاخضر ثم فى اسطوانة من الفضة الخالصة المصنوعة صنعا جميلا وهاك نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال والصلوة والسلام على صاحب الفضل والنوال سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير صحب وآل . أما بعد فهذا من اعضاء الجمعية الحميدية لحضرة الفخم سعادة السيد أحمد عرابى باشا دام فضله .

فيا سيدنا الهمام انا نعرض على سعادتكم بعد السلام ان هذه المدرسة المسماة بالمدرسة الحميدية[١] اسست فى الواحد والثلاثين من اغسطس سنة ١٩٠٠ أى بيوم العيد الفضى الشاهانى تذكارا لعيد العام الخامس والعشرين من جلوس جلالة الخليفة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثانى أيده الله بالسبع المثانى على اريكة السلطنة العثمانية . لا زالت ببهجته ذات المفاخر العلية . والمحاسن البهية .

فالطلبة المتعلمون فى هذه المدرسة مائتا طالب وواحد وثلاثون طالبا فهم يتعلمون فيها القرآن العظيم واللغة العربية والمهمات الدينية مع اللغة التملية . (لغة المسلمين) .

---

(١) يؤكد دور عرابى فى النهضة التعليمية بكولومبو ما ذكره اعضاء جمعية المدرسة الحميدية فى هذا الخطاب بقولهم كنتم لنا كأب حنون فى مدة كونكم بسيلان وكان لنا بكم اسوة حسنة فى حب العلم ونشره والترقى فى المعارف ونيل المكارم" حول احتفالات هذه المدرسة بعرابى انظر لطيفة سالم : مرجع سابق ص ١٠٥ ، ومحمد عودة : سبعة باشوات وصور أخرى القاهرة ، روزاليوسف ١٩٧١ ص ٢١ .

وقد كان رجاؤنا ان تكرم الطلبة المنتهون بهبات سنية لدى انعقاد احتفال الامتحان فى أواخر كل سنة بيدكم الشريفة . فاما الآن فانقطع ذلك الرجاء وتهيئتكم للإرتحال الى بلدتكم المحروسة ، لكن لأجل كون رجائنا ان تدوم بركتكم لهذه المدرسة الحميدية . حتى يعم طلبتها العناية الالهية . التمسنا من سعادتكم ان تشرفوها بحضوركم اليوم فقد شرفتموها بذلك فنشكركم على اجابة دعوتنا وفق التماسنا لينجح بذلك قصدنا ورجاؤنا وصرنا ممنونيين كثيرا . وقد نالت بتشريفكم اياها شرفا لا ينمحى وعزا لا ينتهى . فيا أيها الهمام قد كنتم لنا كأب حنون فى مدة كونكم بسيلان وكان لنا بكم اسوة حسنة فى حب العلم ونشره والترقى فى المعارف ونيل المكارم والتخلق بمحاسن الاخلاق . فتعرض لنا اسف عظيم بفراقكم عنا وذهابكم من بلدنا بعدما قطعتم برهة من الزمان فينا وبذلتم حسن المعاشرة بيننا . لقد طالما كانت المجالس تبتهج ببهجتكم والمحافل تستنير بأنواركم والبراهين تشهد بفضلكم والآراء تنطق بمفاخركم واخضرت المعارف بهوامع مواعظكم وزالت الحنادس بسواطع نصائحكم . وقلت الضغائن بصوارم عواطفكم . لكن يفرّحنا ما يفرّحكم ونفرح بسفركم الى وطنكم ووصولكم الى محل رفدكم . وهذا مما يخفف عنا ذلك الأسف العظيم الذى اعترانا بمفارقتكم . فنبتهل الى الله الكريم ذى الجود العميم ان يتغمدكم بمنه الجسيم ويوصلكم الى مقصدكم مستصحبين السلامة حتى تعيشوا رغدا بالعز والنعيم .

فنلتمس من سعادتكم ان لا تحرمونا حسن التفاتكم ولا تنسونا فى صالح دعائكم ولا تغفلوا عن هذه المدرسة وما يلزم لها من الترقيات . وربنا يوفقنا لمرضاته على الدوام والسلام خير ختام . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأنام وعلى آله الكرام . وأصحابه الأعلام . ما طاب هذا المحفل المنيف بسماع هذا الكلام . وابتهج رونقه بحسن الاحتفال ومحال النظام .

٣٠ جمادى الأول ١٣١٩ .

حاج نور الدين	و . ل . م	س . غ
ابن الحاج عبدروس	أحمد صائب ماركاد	نينا أفندى ماركاد

عن الجمعية المذكورة

وهذا ما قدمه وفد من مسلمى سيلان عند الوداع على ظهر السفينة البخارية مرقوم على قرطاس مذهب الحواشى على لون لازوردى وبعد تلاوته وضع فى صندوق من الفضة ايضا وهاك نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده وقاموا من بعده لنصرة الدين . اما بعد فانه فمما من به علينا خالق الليل والنهار ظهور دولتكم بيننا ظهور شمس فى رابعة النهار أو بزوغ قمر امتد نوره واستنار فاهتدينا لتلك الانوار وسجدنا شكر للواحد القهار . قائلين اللهم يارب الارباب ويا منور بصائر أولى الالباب امنحنا من منح هذا البطل الهمام وأفض علينا من بركاته وسائر الانام فلم نشعر أيها الفاضل إلا ونحن ببركتكم حظينا بالأمل وانقدنا بتوجهاتكم الى خير عمل واخذتم فيما بعد تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتحرصون على فعل كل خير به صاحبه يذكر . كالحث على بناء المدارس واحياء علوم الدين بها ودرك ما فات من العلوم وصار دارس[1] ولم تزل هكذا فينا ايها القائد الاكبر والعلم المنير الاشهر تنقلنا من الظلمات الى النور وتهدينا ببديهة رأيك واصالة فهمك الى الحبور حتى بك اقتدينا وبوابل فضلك ارتوينا فها نحن الآن نشكرك شكرا جزيلا ونتمنى لكم النجاح بكرة واصيلا . غير اننا اليوم نأسف ونندم من حيث لا ينفع الندم على ارتحالكم من بيننا فيا له من ندم . الا أننا وان كان يشق علينا ألم الفراق ونرى النوم بعد انجلائكم مرّ المذاق . فانا جميعا مع أولادنا وآبائنا واخواننا نقدم لدولتكم مسراتنا وباهر تحياتنا بمقدمكم ان شاء الله تعالى الى الديار المصرية مع طول العمر والعيشة الرضية . حتى يتم بذلك سرورنا ويزداد حبورنا . ونهنى ايضا جميع من ينتمى الى دولتكم من الاقارب وغيرهم الذين تأوهوا وتشوقوا للنظر الى الرؤية الهاشمية والمكارم العلوية من بعد العشرين سنة تقريبا فى الغربة فما أحسن تلك السنوات الماضية لنا وأحلاها اليوم لغيرنا .

---

(١) كان لعرابى نشاط فى مدارس كولومبو وكان يرأس حفلات تخرج الطلاب السنوية خلال تواجده بالجزيرة ويوزع الشهادات عليهم بنفسه محمد عوده . مرجع سبق ذكره فى ٢١ .

هذا وقد حررنا ذلك المكتوب لدولتكم والعيون تدمع والقلوب تخشع على فراق دولتكم . وكيف لا وقد كنت فينا كالسراج المنير والقمر المنير نرجو من الله ان نكون جميعا من دولتكم على بال . بان تدعوا لنا ولأولادنا باصلاح الحال . نعم وان تفارقت الأجسام . فالمحبة القديمة باقية على ممر الليالى والايام تحريرا فى ٤ جماد الآخر سنة ١٣١٩ .

نائب فى مجلس البلدية	نائب المسلمين فى المجلس الأعلى
الحاج زين الدين أفندى ابن محمد لبى	عبد الرحمن أفندى ونيس ماركار

محمد أفندى اسماعيل	عبد العزيز افف ابن	الحاج نينا ماركار ابن
ابن الحاج محمد لبى	الحاج شنا لبى	سليمان ماركار

محمد اسماعيل	الحاج محمود ابن
افندى ابن محمد لبى	شنالبى ماركار

تهنئة وداعا . من أهل قاهر فنن التجار فى سيلان واصلهم من القاهرة بوادى النيل نزحوا الى الهند فى زمن السلطان سليم واتخذوا لهم مدينة سموها قاهر فنن فى جنوب مدراس وكلهم ورع متفقه فى دينه على مذهب الشافعى رضى الله عنه وهاك نصها حرفيا :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اذهب عنكم حزنا ... واحلكم من فضله دار المقامة بالثنا
صلى على نبيه من قال حب الوطنا ... وآله وصحابه ماش تودع الهنا
يا خادم الله والوطن التى أم الدنا ... والسيد العربى أحمد بادشاه فى الثنا
وهو الحسينى المصرى المجاهد معلنا ... للعلم والفضل الجسيم والتقى مُعاونا
بل فى الاصول وفى العقول وفى النقول تفننا ... فى حلمه وسموه لاقط أحد وازنا
ومكارم الاخلاق من عادته مستحسنا ... كالشحن لا تخفى شجاعته جميع دولنا
والكل يعرف صدقه وعظمه رحب الفنا ... لما جرى قلم القضاء بما يكون كائنا
واخترتم جزيرة مهبط آدم مسكنا ... فيها مآثر صفوة وقدمه منرزنا
ومتابه وسروره وقبل كانت مشجنا ... حظينا بلقياكم وزورات بغايات المنى

فحين اقدمتم هنا الفتموا من بيننا ... اديتموا باوامر وباجتناب مناحنا
وحيتموا بمواعظ فذاك كنز لا فنا ... وكلامكم أحلى كشهد قد تأثر حالنا
أسموا بمدارس علمية فى جمعنا ... كم من وظائف طاعة ومصالح فى ديننا
تالله لو مجاهد من أهل بيت نبينا ... بعد الحسين وقبل مهدى له انتظارنا
لينج هذا الضيغم الصهيم أولى ضامنا ... لكن مضى ما لا يعاد عفى عن اخواننا
لا بأس بل فى غزوكم لعبرة للفظنا ... وأجركم موفورة مأثورة من بعدنا
ملأت فؤاد مسلم حبا وشوقا مُتقنِا ... ما فى العوالم احد الا ومدحكم ثنا
حتى امير المؤمنين على اساسكم نبغى ... وعلى التقى اسستموا ولنعم ذاك وذا البنا
وما غرستم اثمرت وتظللت اماكنا ... وتدوّحت بيوانع وترفهوا مأمنا
وبعدما تطهرت امصارها تحننا ... يا أحمد السادات والعلماء من فضلائنا
يا أحمد الوزراء والضرغام من شجعاننا ... يا أولا فى الأحمدين اختر بنا واحمد لنا
فادخلوها بسلام آمنين توطنا ... هذا مأرب عزمكم قضاه ربى لينا
اسفا على فراقكم كالروح من اشباحنا ... لكن مسرات على وصولكم مواطنا
تهنيكم لخليفة الاسلام حامى مللنا ... نُصِر الإمام الأعظم السلطان عبد حميدنا
وثانيا لأميره العباس نعم خديونا ... والانكليز مليكنا والوالى فى سيلاننا
وكل من يسعى لكم بِرًّا وشكرا بيننا ... وسادسا لكم على احسانكم بمحاسنا
فلنحمد العشرين عاما والبواقى غيرنا ... فالله طول عمركم فى طاعة وميامنا
واهلكم اولادكم احبابكم قرائنا ... لا تنسنا بدعاءكم بل فى التهجد خصنا
منا السلام عليكم وسلمى اخواننا ... اخص منهم أهل سيلان وأهل بلدنا
دمتم فدمتم سالمين . الله يجمع بيننا ... يا رب صل على النبى وآله ومن دنا
ما هنأ توديع وما أحب كل وطنا ... تهنئة من أهل قاهرة الجمال ظعنا
من مصر قاهرة وفى جنوب مدراس بنى ... وباسمى الجيلى دعيت فالختام الحسنى

العبد محيى الدين عبد القادر بن عبد الله القاهرى واحبابه القاهريين وكافة المسلمين .

تهنئة وداعية من طلبة المدرسة الحميدية بثغر كولمب بجزيرة سيلان مرقومه على ورق مزخرف بالرسوم الذهبية والنقوش الفيروزية بتاريخ ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٩ وهاك نصها : بنشيد التلامذة .

اهلا بالباشا أحمد عرابى	أهلا بكم يا أحمد عرابى
شرفتنا يا فخر الكرام	إذ جئت بدرا أحمد عرابى
جاهدت فى الله حق الجهاد	فى نصرة الدين أحمد عرابى
انفقت جهدا فى جلب خير	فى أرض مصر أحمد عرابى
اعليت دين الاسلام اذ ما	ارديت كفرا أحمد عرابى
فابشر بعز ونيل قصد	يأتيك دهرا أحمد عرابى
تفضلوا بالهنا وفضل	وحسن فخر أحمد عرابى
قد كنت فينا أبا حنونا	ونحن أبناء أحمد عرابى
سافر بحفظ المولى سليما	وعش هنيئا أحمد عرابى
حباك عزا وكل فخر	وطول عمر أحمد عرابى
هذا دعانا فى كل وقت	هذا منانا أحمد عرابى
وما بنا من حزن الفراق	أعيى لسانا أحمد عرابى
لكن سرور بالعود يوما	أحيى جَنانًا أحمد عرابى
منا جميعا الفا سلام	عليك دوما أحمد عرابى
فادعوا لنا كى نزداد علما	وكل خير أحمد عرابى
وللمهنى بذا سميًا	باسم ابن عوف أحمد عرابى
يا رب بارك فينا دواما	واحفظ ولاطف أحمد عرابى
وكن معينا فى كل حال	لنا ووفق أحمد عرابى
أهلا وسهلا أهلا وسهلا	أهلا بكم يا أحمد عرابى

ختم المدرسة

ليكن معلوما اننا لم نذكر تلك الخطابات الملوكية والمقالات الوداعية والاحتفالات السيلانية الا من قبيل التحدث بنعمة الله وتخليد الشكر والثناء لكرام اخواننا السيلانيين فى بطون التواريخ قياما بواجب الشكر لأهل الفضل . اذ لا يعرف الفضل الا ذووه .

الفصل السادس

شكاوى عرابى للمسئولين

فى بث شكواى من الحيف والظلم لمن بيدهم السلطة فى البلاد المصرية بعد عودتى الى الوطن العزيز .

ان القاعدة العمومية التى يدور عليها مدار العمران فى العالم المتمدن هى :ـ

ان التعرض للأملاك بغير حكم شرعى يعد مصادرة والمصادرة لا تجوز فى المعاملات سواء كانت بين الأفراد أو بين الشعوب . واذا اهملت هذه القاعدة الاساسية المرعية ضاعت الحقوق وسادت الفوضى . ويؤيد هذا الاصول التى يرجع اليها فى معاملات الافراد فهى تأخذ بأشد التحوطات لصيانة الحقوق فلا ترفع يد واضع الا بحكم صحيح شرعى .

وبناء على ذلك اعرضت للحضرة الخديوية بتاريخ ٢٤ شوال سنة ١٣٢٣ كما يأتى :

مولانا العزيز

اتشرف بأن أعرض لسمو الحضرة الخديوية الفخيمة بأنه قد مضى علىّ وعلى عائلتى دهر طويل ونحن نقاسى أنواع الشدائد والفقر والذلة والمسكنة وبتاريخ الغربة فى دار منفانا الى ان تداركتنا مراحم سمو مولانا الخديوى أطال الله فى أيام حياته وعمر البلاد بعدله فصدر أمره الكريم بالعفو عنا واعادتنا الى الوطن العزيز فى ٢٤ مايو سنة ١٩٠١ فشكرنا لسموكم هذه النعمة الكبرى[١] . وقد مر علينا يا مولانا خمس سنين تقريبا ونحن محرومون من الحقوق المدنية وقد أناخ الدهر علينا بكلكله واضرَّ بنا الفقر والاحتياج لأن الحكومة السابقة سلبت أملاكنا ونهبت أموالنا بدون حكم شرعى ولا قضاء عادل .

وكان ما يتحصل من ريع املاكنا المنهوبة اذ ذاك يربو على ٣ آلاف جنيه مصرى فى السنة . ولا ملجأ لنا نلوذ به غير عواطف سموكم الكريمة . فعطفا يا مولانا العزيز على من عانده الدهر وعكس مقاصده فوالله الذى لا إله الا هو ما أردت بالبلاد إلا خيرا ولقد

---

(١) حاول عرابى عقب عودته الى مصر مقابلة الخديو عباس الثانى لشكره ولكنه لم ينجح فى ذلك كما حاول استعطاف الخديو لرد املاكه المصادره اليه ولكنه لم ينجح فى ذلك أيضا .

وقفت حياتى على حفظ حرمة بيتكم الخديو الكريم من كل سوء فى أيام تشعبت فيها المقاصد وتنوعت فيها الأهواء واختلط فيها الحابل بالنابل ولو أقام فيها أحد غيرى لسفكت الدماء وخربت البلاد ولكان الأمر عظيما حاشا حنوكم العظيم ان لا يسعنى . وحاشا عفوكم ان لا يظهر بأكمل معانيه عفوا تاما . فأرجو التكرم عليّ بمنحى الحقوق المدنية ورد ما نهب من أملاكى الشرعية عملا بحديث (مال المسلم على المسلم حرام)

ولحديث (كل راع مسئول عن رعيته) كما ردت أسلاب الخارجين على الامام علي عليه السلام . أو تعويض أرض تعادلها أو ترتيب مرتب يماثل ذلك تتوارثه ذريتى من بعدى . لنعيش تحت رعاية سموكم متوسلين الى الله سبحانه بجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحفظ سموكم وأنجالكم الكرام . وان يديم عدلكم فى البلاد والعباد إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير افندم .

الخادم المتواضع

احمد عرابى

واعرضت فى التاريخ المذكور الى مصطفى باشا فهمى رئيس النظار حينذاك والى احمد باشا مظلوم ناظر المالية وابراهيم باشا فؤاد ناظر الحقانية وبطرس غالى ناظر الخارجية وحسين فخرى باشا ناظر الاشغال والمعارف وعبانى[1] باشا ناظر الجهادية بما يأتى :ـ

سعادتلو افندم حضرتلو

اتشرف بان اعرض لسعادتكم أنى اعرضت للحضرة الفخيمة الخديوية أشكو من الحالة التى وصلت اليها عائلتى من الفقر والاحتياج حتى صار مريضنا لا يعالج ومن مات منا لا يبكى عليه . وأطلب من مراحم سموه ان يكون عفوه السابق الصادر فى ٢٤ مايو سنة ١٩٠١ ظاهر بأكمل معانيه حيث مضى عليه خمس سنين قمرية ولم امنح الحقوق المدنية .

والتمس رد أملاكى المنهوبة وأموالى المسلوبة فى عهد الحكومة السابقة بغير حكم شرعى ولا قضاء عادل كما ردت أسلاب الخارجين على الامام علي عليه السلام اتباعا لحديث (مال المسلم على المسلم حرام) .

---

(١) يقصد محمد عبانى باشا ناظر الحربية والبحرية .

وسعادتكم تعلمون أن القاعدة التى يدور عليها مدار العمران فى العالم المتمدن هى ان التعرض للاملاك بغير حكم شرعى يعد مصادرة والمصادرة لا تجوز فى المعاملات سواء كانت بين الافراد او بين الشعوب . واذا اهملت هذه القاعدة الاساسية المرعية ضاعت الحقوق وساد الظلم والاستبداد . يؤيد ذلك الأصول التى يرجع اليها فى معاملة الأفراد فهى تأخذ بأشد التحوطات لصيانة الحقوق فلا ترفع يد واضع اليد إلا بحكم صحيح شرعى . فأرجو من سعادتكم دفع هذه المظالم الجائرة والانتصار للحق والعدل . إما برد أملاكى أو بتعويض من الاراضى يكون ريعها مماثلا لريع أملاكى الذى يزيد عن ثلاثة آلاف جنيه سنويا أو بترتيب مرتب يعادل ذلك تتوارثه ذريتى من بعدى .

وبذلك تتم آية العدل والانصاف فى عهد الحكومة السنية افندم .

مخلصكم

احمد عرابى

تقدم منا هذا الصوت المزعج للقلوب الرحيمة فلم يلق آذانا صاغية بل كان كنفخة فى رماد أو صرخة فى اواد وعلمت أن الحكومة مقيدة بما يصدر لها من حكومة الانكليز لغلبة الاحتلال على أمرها . فحرصا على حفظ حقوقى أعرضت لجلالة ملك الانكليز بما يأتى :-

الفصل السابع

فى الشكوى إلى الحكومة الإنكليزية(١)

فى شهر مايو ١٩٠٢ حررت عريضة إلى عظمة جلالة الملك إدوارد السابع ملك بريطانيا العظمى وايرلاندا وإمبراطور الهند وما وراء البحار من الولايات الإنكليزية وأرسلت لديوان الخارجية الإنكليزية بواسطة اللورد كرومر ، وهاك ترجمتها :

١ـ أن عرضحال الخاضع أحمد عرابى المقيم بشارع الناصرية بمصر القاهرة يوضح أن فى شهر ديسمبر ١٨٨٢ حكم على مقدم هذا الالتماس بالنفى من مصر وقد قاسى الم النفى مدة تسعة عشر سنة في جزيرة سيلان .

٢ـ ان الطيب الذكر اللورد دوفرين كان تكرم بوعد مقدمه لترتيب معاش له ولعائلته قدره الفين جنيه سنويا .

٣ـ أن فى السنة المذكورة اغتصبت الحكومة المصرية جميع أملاك مقدمه بغير وجه قانونى ولا حكم شرعى التى تساوى قيمتها خمسين ألف جنيه على الأقل

٤ـ أن الحكومة المصرية كانت أصدرت أمرها إلي جميع المحاكم الشرعية بعدم سماع أى شكوى من مقدمه فيما اغتصبته لعلمها بأن الشريعة لا تجيز السلب والاغتصاب .

٥ـ أن مراحم الحكومة الإنكليزية دعتها للتوسط فى تعيين معاش كاف لمقدمه من الحكومة المصرية ولكن هذه رتبت له مبلغا قليلا لايزال جار قدره ٦٠٠ جنيه سنويا .

٦ـ أنه فى فصل خريف ١٩٠١ إذن لملتمسكم وعائلته بعدالة توسط الحكومة الإنكليزية برجوعه لوطن مصر .

٧ـ أن عائلة مقدمه تحتوى على ٥٤ شخصا جميعهم متكلون على تعيشهم بواسطته .

٨ ـ ان الحكومة المصرية كانت رأت من الموافق أن تحرم مقدمه من جميع حقوقه المدنية وتمنع جميع رعاياها من معاملته والتداخل معه فى أى أمر ما ولغاية الآن لم يبطل هذا الأمر .

---

(١) كتب عرابى شكوى إلى ملك بريطانيا إدوارد السابع ـ وذلك عن طريق اللورد كرومر يطلب فيه إعادة أملاكه وترتيب معاش له ولعائلته فى حدود الفين من الجنيهات سنويا ولكن محاولته ذهبت إدراج الرياح .

٩ ـ أنه بالنظر للإخلاص والسلوك الذى أظهره ملتمسكم للحكومتين الإنكليزية والمصرية مدة التسعة عشر سنة الماضية أمر مثل هذا غير مستوجب المعاملة بمقتضاه .

١٠ـ أنه بالنسبة لهذه المضايقة يرى أن مقدمه لايزال منكود الحظ وغير مستريح البال لهذه الأسباب مقدمه يرجو جلالتكم بكل خضوع أن تتكرموا عليه بتعاطفاتكم العادلة وصدور أمركم لمعتمد جلالتكم فى مصر أن يسعى فى إعادة ما سلب من أملاك ملتمسكم بوجه غير قانونى ، أو التكفل بإعطاه المبلغ الذى اتفق عليه سنة ١٨٨٢ معاشا دائما له ولذريته من بعده .

أن مقدمه يدعو لجلالتكم بطول العمر ودوام السلم . أ . هـ .

وفى ٣ يوليو ١٩٠٢ ورد لنا إفادة من اللورد كرومر مآلها أن خارجية إنكلترا أفادته بأنها عرضت عريضتنا على جلالة الملك وأن جلالته قال أن ذلك مما يختص بحكومة سمو الخديو وأنه إذا كان لابد لنا من الشكوى فلتقدم لحكومة مصر .

إنى أشكر فخامتكم على ما صرحتم به بحق واعتدال فى تقريركم عن الحالة العمومية المصرية والسودانية سنة ١٩٠٤[1] من أن الثورة العرابية كانت هذا العسف وسوء الحكم كالثورات التي حدثت فى البلدان الأخرى ، وما قاله السير اوكلند كلفين أنها كانت قومة مصرية على الأحكام الاستبدادية . فقد ظهر الحق على لسان فخامتكم وذهق الباطل .

وحيث أن القاعدة التي يدور عليها مدارالعمران فى العالم المتمدن هى أن التعرض للأملاك بغير حكم شرعى يعد مصادرة والمصادرة لا تجوز فى المعاملات سواء كانت بين الأفراد أو بين الشعوب . وإذا أهملت هذه القاعدة الأساسية المرعية ضاعت الحقوق وساد الظلم والاستبداد .

ولذلك لايجوز أن ترفع يد واضع اليد إلا بحكم صحيح شرعى وبما أن الحكومة السابقة المستبدة الظالمة سلبت ونهبت أملاكى وأموالى فى أول أيام الاحتلال الإنكليزى بغير حكم صحيح شرعى وتركتنى وعائلتى الكثيرة العدد فى غاية الفقر

(١) كان قنصل انجلترا الجنرال ووكيلها السياسى فى مصر يرسل تقريرا سنويا عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان إلى وزير خارجية بريطانيا .

والفاقة بل الموت الأحمر جئت ملتجئا ومستغيثا بمراحمكم وعدلكم فى رد أملاكى المنهوبة وأموالى المسلوبة أو تعويضها علىّ إحياء لعائلتى التي تزيد عن خمسين شخصا ومعاشا لها بعد وفاتى . تتميما لما أجريتموه من الاصلاح والعدل الذي لم تر مصر مثله منذ بدء الخليقة وليس هذا على فخامتكم بالصعب العسير .

وإنى واثق بأن يحل طلبى هذا لدى فخامتكم محل القبول لما وعدتمونى به من حسن المساعدة والرأفة ، وليكون ذلك معنى جوهريا لتوسط سمو البرنس اف ولس فى رجوعى إلي مصر ولموافقة فخامتكم على ذلك أيضا منذ أربعة أعوام .

مخلصكم المطيع

أحمد عرابى المصرى

وكان الجواب على ذلك من الوكالة البريتانية أن اللورد كرومر يأسف لعدم إمكانه التداخل فى مسألة نظرت فى ١٨٨٢ بمعرفة الحكومة المصرية[١] .

وهذا الجواب من قبيل ذر الرماد فى العيون فإن اللورد مطلق التصرف فى الحكومة ولا راد لأمره .

وفى ١٩ ديسمبر ١٩٠٥ حررنا إلى مستشار المالية المصرية بما يأتى :

ماليه مستشارى سعادتلو أفندم

أتشرف أن أعرض لسعادتكم أن اللورد دوفرين مرخص الحكومة الإنكليزية كان وعد وكيلنا المستر برودلى عقيب حوادث ١٨٨٢ بأن يرتب لنا مرتبا سنويا قدره ألفان جنيه مصرى ولكن الحكومة المصرية إذ ذاك لم ترتب لنا إلا ٦٠٠ جنيه إنكليزى فقط باعتبار كل شهر ٥٠ جنيها إنكليزيا بالنسبة لرخص الأسعار فى جزيرة سيلان ـ وحيث أن هذا المبلغ لا يفى بلوازمنا الضرورية الآن بالنسبة لغلو الأسعار وكثرة عائلتنا التى تزيد عن خمسين نفسا وشدة مضايقتنا .

فنرجوا من سعادتكم النظر فى هذا الأمر بعين العدل والانصاف أما بابلاغ مرتبنا إلى ما وعد به بمثل الحكومة الإنكليزية واسترداد أملاكنا المنهوبة بغير حكم قانونى

(١) رفض كرومر التدخل فى هذه المسألة بحجة أن ذلك من اختصاص الحكومة المصرية .

التى يزيد ريعها عن ٣٠٠٠ آلاف جنيه فى السنة أو التعويض علينا بمثل ما سلب منا أحقاقا للحق وحفظا لكرامة عائلتنا وشرفنا من الضياع ، وبذلك تظهر الحكومة السنية برهانا جديدا على إقامة العدل ومنع الظلم كما أبطلت كثيرا من المظالم وأصلحت كثيرا من المفاسد وأنى واثق بأن سعادتكم لا توافقون على بقاء مظالم قديمة فى زمن الاصلاح الذى أنتم حريصون عليه

المخلص لكم

أحمد عرابى

وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٠٥ ورد الجواب من المستشار المشار إليه بما يأتى :

ردا لخطابكم المؤرخ فى ١٩ ديسمبر ١٩٠٥ تسأل به زيادة مرتبك أقول أنى متأسف لأنى لا أقدر أشير على الحكومة المصرية بإعطائك ما ترغبه[١] .

أنا يا سيدى خادمك المطيع

ميخائيل

وكذلك عرض لرئيس النظار ومثل ذلك أولا وثانيا وثالثا ولم يجب بكلمة واحدة ما لأنه لا يقدر على شىء .

وفى ٣٠ مارس سنة ١٩٠٦ تقدم منى عريضة لسمو ولى عهد دولة انكلترا البرنس اف دوغال لمناسبة وجوده بسراى عابدين حين زيارته لمصر وهاك نصه العربى :

مولاى

أنا أحمد عرابى أتشرف بأن أعرض تشكراتى القلبية ودعواتى الخيرية لسموكم الملوكى من أجل حنان سموكم علىّ ومن أجل توسط سموكم الملوكى لدى سمو الخديوى فى عودتى إلى بلادى العزيزة منذ خمس سنوات مضت وحيث أن جميع الأمة المصرية صارت متمتعة الآن بنعمة الحرية[٢] والسعادة والعدل ـ ما عدا أنا وعائلتى التى

(١) رفض المستشار طلب عرابى بحجة عدم إمكانية عرضه على الحكومة .

(٢) أى حرية يذكرها عرابى ومصر فى قبضة الاحتلال .

تزيد عن خمسين نفسا فإننا فى شقاء وفقر شديد رازحين تحت الظلم القديم بسبب أن الحكومة القديمة سلبت ونهبت أطيانى وأموالى وأملاكى بدون حكم شرعى ولا قضاء عادل . وحيث أنه لايليق بحكومة عادلة الاقرار على ظلم حكومة ظالمة مستبدة فإنى واثق بعدل سموكم أن تتنازلوا مرة ثانية وتتوسطوا لدى سمو الخديو فى منحى الحقوق المدنية وردا أملاكى المسلوبة أو ترتيب مرتب مالى يعادل ما نهب منى تتوارثه ذريتى من بعدى لنذوق لذة العدل ونعيش فى سعادة وحفظ كرامة بعد مضى خمس وعشرين سنة فى أمر الشقاء وبذلك يظهر معنى عفو سمو الخديو بأجلى معانيه وتظهر قيمة التجائى إلى شفقة سموكم الملوكى ، وأنى وجميع أفراد عائلتى ندعو الله ليلا ونهارا أن يحفظ سموكم الملوكى ويمتعكم بأنجالكم الكرام .

الخادم المطيع

أحمد عرابى المصرى

وقد عرض بهذا المعنى إلى الحضرة الخديوية ورئيس مجلس النظار مصطفى باشا فهمى واللورد كرومر فورد لنا الافادات الآتى بيانها :

فى أبريل ١٩٠٦ من سكرتير ولى عهد الحكومة الإنكليزية

سيدى :

ردا على خطابكم المؤرخ بتاريخ أمس أتأسف أن أخبركم بأن أشغال سمو البرنس اف ولس هنا لاتسمح لسموه الملوكى أن يهبكم توسطه فيما تطلبونه .

الامضاء

سكرتير سموه آرلز سبرنج

وجاء من اللورد كرومر فى شأن ذلك بتاريخ ٢ أبريل ١٩٠٦ ما يأتى :

سيدى :

المعروض الذي قدمته لى صار عرضه على سمو البرنس اف ولس وسموه الملوكى أمرنى بأن أبلغكم أسفه من عدم إمكانه مفاتحة الجناب الخديو فى المسألة التى

ذكرتموها بعريضتكم ، وفى الوقت نفسه أبلغكم شكر سموه على حسن تمنياتكم التى وضحتموها بالعريضة المذكورة لسموه ولسمو أولاده يا سيدى :

الامضاء

خادمكم المطيع

كرومر

أما ما عرضته على الحضرة الخديوية ورئيس النظار فلم يردا على بشىء ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وفى ٢٨ مايو ١٩٠٣ كتبت إلى اللورد كرومر بطلب توسطه فى زيادة مرتباتى لعدم كفايتها ورد أملاكى المنهوبة بدون قانون ولا حكم شرعى وما كان طلبى هذا إلا حفظا لحقوقى .

وفى ٢ يونيو ١٩٠٣ وردت إفادة منه ونصها :

فردا لذلك أخبركم كما سبقت وأوضحت لكم فى أحوال سبقت أنه لايد لي من رفض استعمال أى تداخل بالنيابة عنكم فيما يختص بهذه المسائل .

الإمضاء كرومر

وفى ٧ سبتمبر ١٩٠٣ عرضت لسمو البرنس ولى عهد حكومة الإنكليز بأن يتوسط لدى الحضرة الخديوية فى الحصول على حقوقى المدنية ورد أملاكى المنهوبة بقوة الحكومة الظالمة من غير محاكمة شرعية ولا قانون يجيز السلب والنهب .

وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٠٢ ورد الجواب من سكرتير سموه كما يأتى

سيدى :

ردا لخطابكم المؤرخ في ٧ الجاري لحضرة صاحب السمو الملوكى البرنس اف ولس ، قد أُمرت تبليغكم أن صاحب السمو الملوكى لا يذهب إلى مصر فى هذا الخريف .

وأما بخصوص طلب مساعدة صاحب السمو الملكى لكم فى الحصول على حقوقكم المدنية وأملاككم المنهوبة فسموه يأسف كل الأسف حيث أن هناك أمور تمنعه من التداخل .

الامضاء آرثر

وفى ٨ نوفمبر ١٩٠٨ عرضت للحضرة الخديوية بما يأتى .

مولاى :

أعرض مكررا تشكراتى القلبية لجنابكم العالى على حنانكم ومراحمكم العلية إذ تشرفت بصدور عفوكم الكريم وعودتى إلى الوطن العزيز فى ١٤ مايو ١٩٠١ فتشكرت لسموكم هذه النعمة الكبرى وقد مضى على ذلك يا مولاى ثمانية سنين وأنا محروم من الحقوق المدنية أتكبد مرّ المعيشة وقد جئت تائبا متنصلا من كل ذنب فحاشا عفوكم الكريم أن لا يكون تاما ظاهرا بأكمل معانيه . فأرجو التكرم على المحسوب بالحقوق المدنية ومنحى رضاء سموكم التام . وأنى وجميع أفراد عائلتى ندعو الله أن يحفظ سموكم ويمتعكم بأنجالكم الكرام .

وفى ٨ نوفمبر سنة١٩٠٨ سلمت أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوى التماسا لعرضه على الخديو لاتمام العفو عنى بمنحى الحقوق المدنية وتسوية معاشى ، فوعد بعرضه ولم تظهر لذلك نتيجة .

وفى ١٠ مايو من تلك السنة كتبت فى ذلك إلى رئيس الحكومة الإنجليزية ووزير خارجيتها ورئيس البرلمان الإنجليزى وإلى كثير من الأحرار الإنجليز ، فتلقيت فى ٢١ من أغسطس التالى من وزارة الخارجية البريطانية ردا أحالتنى فيه إلى الحكومة المصرية .

هاك صورة من الأمر المذكور بعد تعريبه :

سيدى :

قد أمرنى ناظر الخارجية جناب السير ادوارد جراى أن أعلمكم بوصول خطابكم المؤرخ فى ١٠ مايو الذى فيه تشكون من مصادرة أملاككم بعد حوادث سنتي ١٨٨١ و١٨٨٢ وبه ترجون ردها أو دفع تعويض يعادل قيمتها فردا لخطابكم المذكور نخبركم أن هذه المسألة ليست من المسائل التى يجوز لحكومة جلالة الملك التداخل فيها .

فيجب عليكم مخابرة حكومة سمو الخديوى بهذا الخصوص إذا كنتم فى ذلك موافقا .

هذا وأخبركم علاوة على ما تقدم أن كبير الوزراء ورئيس مجلس البرلمان قدما لجناب السير ادوارد جراى عرائضكم التي لايختلف مضمونها عن فحوى العريضة التي عرضت للخارجية لإجراء اللازم عنها ردا لها .

خادمكم المطيع

لوويس ملنر

وهكذا تبين أن الحكومة المصرية لا تريد أن تسمع لصوت الحق ولا ترد على من يخاطبها ، أو هى لا تقدر على عمل يخالف إرادة الإنجليز ، كما تبين أن الحكومة الإنجليزية لا تريد أن تتوسط فى إقامة العدل ودحض الظلم ورد أملاكى المنهوبة بقوة الاحتلال ، وتحيل شكواى إلى حكومة الخديو التى لا تقدر على عمل ما بغير أمر الإنجليز ، ولذلك تركت لأولادى وأحفادى من بعدى ، ولذريتى جيلا بعد جيل ، الحق فى المطالبة بحقوقى وأملاكى المنهوبة من الحكومة المصرية ومن المجلس النيابى المصرى ، حين تسترد الأمة حريتها واستقلالها ومجلسها النيابى ، وأنى واثق بأن أمتى المصرية الكريمة لا تنسانى ، ولا تترك أولادى حين يأتى اليوم الذى تعرف فيه حقيقة أعمالى الوطنية الواجبة على كل وطنى حر .

٢ - الخلاصة

لما قويت شوكة الاستبداد ، وكثر الظلم والجور ، وضيق الخناق على الأمة المصرية ، أراد الله جلت قدرته أن ينقذ عباده المصريين من جور المستبدين وعسفهم ، فجعل من الضعف قوة تكبح جماح الظالمين ، ذلك بأن ألف بين القلوب المتنافرة ، وجمع كلمة الأمة المصرية عن بكرة أبيها على الخلاص من ربقة الاستعباد ، وقدر الله سبحانه وتعالى أن أكون زعيم هذه الحركة الوطنية المباركة لما للأمة من الثقة بالجيش ، فسرت بالأمة على بينة من الأمر إلى أن نالت حكومة نيابية ، وقوانين عادلة تضمن لها الحرية والعدل والمساواة بين عموم المستوطنين بوادى النيل ، على الرغم من اختلاف العناصر والمذاهب ، بلا سفك قطرة دم ولا مصادرة أحد من خصومنا فى ماله ، وكان

توفيق باشا معضدا لنا فى أول الأمر ومرتاحا لإجابة طلباتنا الوطنية ، حتى جعل نفسه كأحدنا ، ولكن رجال حاشيته المنتفعين من السلطة الاستبدادية كرهوا أن يتساووا مع الناس ، كأنهم من غير جنس البشر ، فأغروا الخديو على أن يلقى بنفسه فى أحضان الإنكليز ليستعيد سلطته الاستبدادية ، كما عهدت إليه الحكومة الإنكليزية بذلك من قبل ، وكانت الحكومة المذكورة ترغب فى عدم تحرير المصريين ، وارتقائهم لطمعها فى الاستيلاء على وادى النيل وامتلاك السودان ، ولارتباطهما بطريق الهند واستراليا ونيوزيلندا ورأس الرجاء الصالح فى الجنوب الغربى من أفريقية .

فلذلك هولت الجرائد الإنكليزية وأفهمت أوربا زورا أن الجيش المصرى متمرد ، وأن الأمة المصرية فى أقصى درجات التوحش ، وطلبت الحكومتان الفرنسية والانكليزية من دول أوربا عقد مؤتمر دولى فى الآستانة لوصف العلاج الناجع لداء مصر الموهوم ، فوافقت أوربا على ذلك لكن الحكومة العثمانية رفضت عقد المؤتمر أو الاشتراك فيه لعدم وجود ما يوجب ذلك ، فقررت أوربا عقد المؤتمر فى الآستانة ـ رضيت الدولة العثمانية أو لم ترض ـ ثم عقد المؤتمر وقرر لائحته المجحفة بحقوق الدولة العلية ، فرفضها الباب العالى ، وانتهزت انكلترا الفرصة بإيعازها إلى الأميرال سيمور بأن يختلق الأسباب التي بها يعلن الحرب على المصريين ، وكان ما هو واضح بهذا الكتاب من أسباب الحرب وبذلك كان مجىء الانكليز إلى مصر عدوانا وإهانة للمصريين واحتقارا للدولة العلية ، وضحكا على ساسة أوربا بإعلانها الحرب مع وجود أرباب المؤتمر الذي لم يقرر فيه الحرب ، وتقرر بمجلس وزارى حضره ثلة من الشيوخ تحت رياسة الخديو ودرويش باشا المندوب العالى السلطانى وجوب الحرب مع الإنكليز مدافعة عن البلاد ، حربا واجبة شرعية ، ولما انحاز الخديو ومن معه إلى الإنكليز انعقد لذلك مجلس عام لإدارة البلاد حضرة ثلاثة من أعضاء العائلة الخديوية ووكلاء الدواوين والعلماء وشيخ الإسلام وبطريرك الأقباط وحاخام الإسرائيليين وأعضاء مجلس النواب وأعيان البلاد ، وقرروا إيقاف أوامر الخديو وتفويضى فى أمر الدفاع عن البلاد ، تحرر تلغراف بذلك للباب العالى ، وبعد أن كانت الدولة العلية ممتنعة من موافقة الدول على تمرد الجيش المصرى ، وعلى عقد المؤتمر الدولى أو الاشتراك فيه أو إرسال عساكر من طرفها تحت رئاسة القائد الإنكليزى ، صدر منشور من سعيد باشا الصدر الأعظم باعتبارنا عصاة نحن ومن اتبعنا ، إجابة لطلب اللورد دوفرين السفير الإنكليزى لدى الدولة العلية ، ونشرته

جريدة الجوائب وأرسل منه مئات الألوف إلى مصر والهند وجميع البلاد العثمانية ، لإطفاء ثورة غضب المسلمين ويعلم الله كيف كان صدور هذا المنشور بغير أمر السلطان ورضاه ضد رجل نهض بأمته التعسة لتدافع عن بلادها وشرفها ، وهى لم تخرج على سلطانها بل تقاتل أمة أجنبية اعتدت عليها فى عقر دارها ، فتسبب من هذا المنشور انخلاع القلوب وانحلال العزيمة[1] وهروب كثير من أركان الحرب إلى الخديوى بطرف الإنكليز ظنا منهم أن الله قدر عليهم أنهم عصاة لدى سلطانهم ، مما أدى إلى هزيمة التل الكبير ، وكذلك أثرت فى العقول منشورات الخديو بأن لا مطمع للإنجليز فى بلادنا ، وإنما جاءوا لتأييد السلطة الخديوية واستئصال شأفة العصاة ، ثم يعودون إلى بلادهم ، وأنهم نائبون عنه ، فمن قدم لهم الطاعة سلم ومن امتنع عن مساعدتهم ندم ، لأنهم قوته التى يصول بها لاسترداد السلطة الاستبدادية ، وعين معهم محمد سلطان باشا الذى كوفئ على ذلك بعشرة آلاف جنيه ، وزهراب بك الذى صار بعد ذلك جنرالا (باشا) . وأنعمت عليه الحكومة الإنكليزية وعلى محمد سلطان باشا برتبة (سير) ، وكان القضاء على الحرية ثم قتل من قتل ونفى من نفى ولله الأمر من قبل ومن بعد .

انخدع المصريون إلا قليلا بهذه المنشورات الخديوية العرقوبية ، واعتقدوا بجلاء الإنكليز عن وادى النيل الخصيب حفظا لشرف التاج البريطانى . ولكن انقضت الأيام والليالى بعد تشتيت الجيش المصرى ، ومات الخديو محبوب الإنكليز ، وجلس على الأريكة الخديوية عباس الثانى محبوب المصريين ، وتم الإصلاح الذى أخذه الإنكليز على عاتقهم ، ومضى على احتلالهم غير الشرعى ٢٩ عاما فما بالهم لا يوفون بوعدهم وينجلون عن البلاد المصرية وهى هادئة ساكنة ، نعم إن الإنكليز كباقى الأمم لا ينجلون عن بلاد احتلوها برضى أنفسهم أبدا ، ولكنهم سينجلون عن كنانة الله رضوا بذلك أو غضبوا ، قريبا أو بعيدا فإن عرب الرعاة (أمة الهكسوس) احتلوا مصر بزعامة قائدهم سلاطيس ومكثوا بها ١٠٠ سنة ثم خرجوا منها عنوة وقسرا ، وأمة الليبيين احتلوا مصر لزعامة قائد منهم يدعى شيشاق ومكثوا فيها ٢٠٠ سنة ونيف ثم وقع الخلاف بينهم فبادوا .

---

(١) كان هذا المنشور بمثابة ضربة قوية لعرابى جاءته من خليفة رسول الله مما أدى إلى تذمر بعض ضباط الجيش المصرى لاعتقادهم أنهم أصبحوا عصاة على السلطان مخالفين لله ورسوله ، وعلى الرغم من أن عرابى حاول نصحهم بأنهم إنما يقاتلون أعداء المسلمين فإن نصائحه لم تفلح .

ثم تغلب عليها النوبيون بقيادة ملكهم بعنخى ومكثوا فيها ٥٠ سنة حتى أخرجهم منها الآشوريون وهؤلاء أخرجهم بسامتيك الأول المصرى رأس العائلة ٢٦ . ثم تغلب عليها الفرس بقيادة الملك قمبيز بن كورش ومكثت الفرس مستعبدة المصريين ١٢١ سنة وهم العائلة ٢٧ ، ثم أخرجهم المصريون ، وبعد ٦٦ سنة عادت الفرس بقيادة أخوس الملك وتغلب علي مصر وهى العائلة ٣١ ومكثت فيها ٨ سنين ثم اغلب عليها الملك اسكندر المقدونى ومكث بها ٩ سنوات ، ثم الدولة البطليموسية اليونانية ، ومكثت فيها وهي العائلة ٣٣ ، ثم أعقبتها دولة الرومان ، ومكثت فيها ٦٧٠ وهى العائلة ٣٤ فهى مقبرة لكل من اعتدت عليها واحلتها ببطشه وجبروته لأنها (كنانة الله من أرادها بسوء أهلكه الله) ، وهذه هى الأمم البائدة التي تغلبت على مصر قبل الإسلام فأبادها الله جلت قدرته ، وقد اعتدت فرنسا على مصر وأتت إليها بقيادة نابليون بونابرت الأول بدعوى أن السلطان سليم محب لفرنسا وقد أذن له باحتلال مصر لقتال المماليك المتمردين على السلطان ، وهى دعوى لا ظل لها من الحقيقة ثم شاء الله أن يخرج هو وجيشه من مصر .

وكذلك الانكليز دخلوا مصر بأسباب غير شريفة وخدعوا المصريين والدولة العثمانية وأوربا وحاربوا المصريين بدعوى تأييد الخديو ورشوا رجال الدولة العلية ، ولكن الله يدافع عن عباده المؤمنين ، وهو واقف من أعدائه بمجاز طريقهم وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

فعلى الناشئة المصرية أن تجد وتجتهد وتعمل ليلا ونهارا على استرداد مجدها واستقلالها وحريتها المسلوبة منها ومطالبة الانكليز بالجلاء حتى ينكشف عنها هذا البلاء ، ثم أنى أدعو الأمة المصرية إلى التباعد عن التمدن الغربى المزيف فلا تفعل المنكرات التي نهى الله عنها وتأمر بالمعروف الذى أمر الله به ، وأن تترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن تقيم شعائر الدين الحنيف وتحيى مناسكه ، فلا أعز ولا سؤدد بغير الدين وهو وحده يكفل لمن اتبعه بإخلاص هناء الدنيا وثواب الآخرة ، ثم أناشدهم أن يشدوا أواصر الاخاء بين أبناء وطنهم ، ويطهروا قلوبهم من الغل والضغينة ، ويعملوا يدا واحدة ورجلا واحدا لرفع شأن بلادهم وإعزاز كلمة دينهم ، فإذا فعلتم كل ما ذكرت وأرهفتم آذانكم للسمع وأصختم إلى نصائح من حنكته التجارب ، فعرف من تقلب

الحدثان الطريقة المثلى والدواء الناجع ، وهناك يخرج الله أعداءكم ، ويولى عليكم خياركم ، والله على كل شىء قدير .

إلى هناك وقف بنا جواد اليراع فى ميدان تنميق هذه الحقائق باختصار خشية من ملل القراء ، وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته أن يوفقنى لما فيه رضاه مع حسن الثناء وجميل الأثر وتمام النعمة وزيادة الكرامة ، وأن يختم لى بالسعادة ، أنا إليه راغبون ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

وكان الفراغ من كتابى هذا فى ١٨ رجب سنة ١٣٢٩ الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩١٠ .

خادم وطنه

أحمد العرابى الحسينى المصرى

عفى عنه